"ابن زكي" وخطبته القدسيّة / تحقيق ودراسة

د. عبدالجليل عبدالمهدي
الجامعة الاردنية

حياته:

وهو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي ابن عبدالعزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم[1] بن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القُرشيّ، الأموي، العثماني، الدمشقي، الشافعي، الملقب محيي الدين، المعروف بابن زكي الدين[2].

يذكر ابو شامة المقدسي أنه لم يرفع أحد نسب ابن زكي الدين، أو نسب واحد من أسرته، لـ «يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه»[3]. وكانت ذريته تدّعي الاتصال بعثمان، في نسبها. وهو مجرد ادعاء كما يبين أبو شامة، إذ نجده يقول: «كما تدعيه ذريته في زماننا»[4]، أي في زمان أبي شامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٦٥هـ[5]. ويذكر أنه «لو كان ذلك الاتصال صحيحاً، لما خفي على الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر، ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده، وأمه، وأخواله»، فقد كان يحيى ابن علي بن عبدالعزيز جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه. وقد ترجم له

(١) جاء في الفتح القدسي، وإتحاف الأخصا أنه: محمد، بدلاً من القاسم.

(٢) انظر: وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، وانظر: الفتح القدسي/١٣٩، الروضتين ٢/١٠٨، ١٠٩، ١١٠، الذيل على الروضتين/٣١، مفرج الكروب ٣/١٣٣، زبدة الحلب ٣/٧١، العبر ٣/١٧٣، سير اعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٨، ٣٥٩، مضمار الحقائق/ ١٤٣، ١٤٤، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، عيون التواريخ ٢٠/ ٣٩٦، تتمة المختصر ٢/ ١٤٨، التكملة لوفيات النقلة ٣/٨، الوافي بالوفيات ٤/١٦٩، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٩٧هـ، البداية والنهاية ١٣/ ٣٢ ـ ٣٣، ٢٥٧، النجوم الزاهرة ٦/ ١٢٦، ١٨١، الدارس ١/ ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٦٧، ٣٦٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٢/ ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٢، ٣٨٧، قضاة دمشق ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، إتحاف الأخصا ١/١٣٩، نزهة الخاطر/ ١٠٣، شذرات الذهب ٤/٣٧٧.

(٣، ٤) الذيل على الروضتين/ ٣١.

(٥) انظر. نفسه/ ١١١.

في تاريخه، ولم يزد على القرشي. و«لو كان أموياً عثمانياً كما يزعمون، لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجده وخاليه محمد وسلطان، كما يقول أبو شامة[1].

ويذكر السبكي في حديث عن ابن الزكي ونسبه بعد وصفه بالعثماني، قوله: «على ما يذكرون»[2]. وهذا مما قد يشكله في اتصال نسب ابن الزكي بعثمان، رضي الله عنه.

ويشيد عدد من الشعراء بابن الزكي في نسبه، ومنهم الشاعر الدمشقي فتيان الشاغوري، فهو يشيد بآل الزكي، وبنسبهم القرشي، كما يبدو في قوله[3]:

من دوحةٍ قُرَشِيَّةٍ أُمويَّةٍ في سُرَّةِ البطحاء ذات عِراسِ

وقوله[4]:

يا ابنَ عليّ القُرَشّيِّ يا محمـ ـد استمع ما قلتُ غيرَ مُنْتَحَلِ

★★★

ولد ابن الزكي سنة ٥٥٠هـ، في دمشق[5]. وهو من أسرة مشهورة في الشام. وهي بيت قضاء، فزكي الدين يحيى بن علي بن عبدالعزيز القرشي، جد أبيه تولى قضاء الشام، وكان أول سن ولي القضاء من بيت آل الزكي[6]، وجده ولي القضاء فيها[7]، ثم ولي أبوه القضاء، وكان قاضي القضاة فيها، ثم استعفى من القضاء فأعفي[8]. وولي محيي الدين نفسه قضاء دمشق

(١) انظر: الذيل على الروضتين/٣١، سير اعلام النبلاء ٢١/٣٥٩، قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٤٤، ٤٥.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧.

(٣) ديوانه/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) نفسه/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٥) انظر: وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، الذيل على الروضتين/٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، النجوم الزاهرة ٦/١٨١ ـ ١٨٢، قضاة دمشق/ ٥٢، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ)، نزهة الخاطر /١٠٣، الانس الجليل ٢/١٣٤.

(٦) الذيل على الروضتين/٣١، الوافي بالوفيات ٤/١٦٩، ١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، العبر ٤/٢٠٥، قضاة دمشق/٤٤، ٥٢، ٥٣.

(٧) الوافي بالوفيات ٤/١٦٩، ١٧٠، قضة دمشق/ ٥٣.

(٨) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، العبر ٣/٤٤، الوافي ٤/١٦٩، ١٧٠، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ. قضاة دمشق/٤٦، ٥٣.

في شهر ربيع الاول سنة ٥٨٨هـ، وكان قاضي قضاة الشام فيها[١]. ثم ولي ولداه: زكي الدين أبوالعباس الطاهر[٢]، وأبو الفضل يحيى[٣]، القضاء فيها. وكان كل منهما رئيساً في القضاء، معرقاً فيه[٤]. يقول ابن كثير في حديث عن ابن الزكي، أبي المعالي القرشي، : «وكل منهما كان قاضيا، أبوه، وجده، وابـو جده يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم[٥]، كما تقدم. إنه «من بيت القضاء والحشمة، والاصالة، والعلم» كما يذكر الصفدي[٦].

★★★

كان والده قاضيا كما تقدم، وكان عالماً سمع عليه طالبو العلم. وأخذوا عنه، وقد اشتغل بالحديث، و«كان عالي الطبقة في سماع الحديث. سمع خلقـاً كثيراً وحـدّث ببغداد مدة إقامته، وسمع عليه الناس» كما يقول ابن خلكان[٧]. وكان ابنه أبوالمعالي واحداً من طالبي العلم الذين سمعوا منه[٨].

ووالـدتـه أم محمـد آمنـة بنت محمـد بن الحسن بن طاهر القرشية، المعروف والدها بأبي البركات بن المران. وهي أخت أسماء أم تاج الامناء أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (-

---

(١) انظر وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، ٢٣٠، الذيل على الروضتين/ ٣١، مضمار الحقائق/ ١٤٤ ـ ١٤٥، طبقـات الشـافعية الكبرى ٦/١٥٧، النجـوم الـزاهـرة ٦/١٨١، البـداية والنهـاية ١٢/٣٤٦، الدارس ١/٢١٩، قضاة دمشق/ ٥٢، ٥٣، ٥٥ ـ ٥٩، ٦٣، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ.

(٢) انظر: قضاة دمشق/ ٥٥ ـ ٥٩.

(٣) انظر: الدارس ١/٢٢١، ٢٢٢.

(٤) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/٢٥٧، قضاة دمشق/ ٦٦، ٧١ ـ ٧٤، الانس الجليل ٢/١٣٤.

(٥) البداية والنهاية ١٣/٣٢، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ.

(٦) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠

(٧) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ، نزهة الخاطر/ ٩٥، قضاة دمشق/ ٤٦.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

٥٩٥هـ)[١].

وكانت والدته محدثة. ويُذكر أن والدها كان قد استنسخ لها كتاب السنن لأبي داود، كما سمعت بعضه، وسمعت على جدها لأمها، وسمع منها ولدها. ويُذكر أنها وقفت رباطاً لسكنى الفقراء من النساء. وكانت قد حجت مع اختها أسماء في سنة ٥٥٥هـ وهي ابنة خالة الحافظ أبي القاسم بن عساكر الكبرى[٢].

شيوخه:

تقدم القول ان أبا المعالي أخذ العلم عن والده ووالدته، كما أخذ عن غيرهم من العلماء. وكان قد نشأ في دمشق، في ظل والديه. وقد عُنيا به، وأحاطاه برعايتهما العلمية.

وأخذ ابن الزكي عن العديد من العلماء في العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية والأدبية، وغيرها من أصناف العلوم. ويذكر السبكي، ويتابعه الصفدي، وابن طولون، أنه قرأ المذهب الشافعي على جماعة، وسمع الحديث من والده، كما سمعه من طائفة من العلماء[٣]، منهم: الوزير الفلكي، أبو مظفر سعيد بن سهل النيسابوري الخوارزمي (ت ٥٦٠هـ)[٤] وعبدالرحمن بن أبي الحسن الداراني[٥]، والصائن بن عساكر، هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٤٨٨ - ٥٦٣هـ)[٦]. والأمير أبو المكارم

---

(١) انظر: تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، الذيل على الروضتين/ ٣١ البداية والنهاية ١٣/ ٣٢، ٣٣، ١٠١، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ٢/ ٣٠٢، ٣٦٢، قضاة دمشق/ ٤٤، ٤٥.

(٢) تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، ٤٩، ٥٠، اعلام النساء/ ١٦.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٧، ١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٢.

(٤) انظر: العبر ٣/ ٣٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٠، شذرات الذهب ٤/ ١٨٨.

(٥) انظر: الدارس ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٦) انظر: العبر ٣/ ٤١، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٠، الدارس ١/ ٤١٦ - ٤١٨.

عبدالواحد بن واحد بن المسلم بن هلال الأزدي (ت ٥٦٥هـ) [١].

ويذكر ابن كثير أن ابن الزكي اشتغل على القاضي شرف الدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (٤٩٢ ـ ٥٨٥هـ)[٢].

الاشتغال بالقضاء والتدريس والاشراف على الأوقاف:

تولى ابن الزكي القضاء نيابة واستقلالاً، فقد ذُكر أنه تولى القضاء بدمشق نيابة عن الشيخ شرف الدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن عصرون، الآنف ذكره[١]. وولي ابن الزكي القضاء في حلب. ويذكر ابن كثير أنه قد ولي قضاء دمشق، ثم أضيف إليه قضاء حلب[٢]. وكان السلطان صلاح الدين قد عوّل عليه في الحكم والقضاء بحلب، فقضى وحكم. وقد ولاه هذا المنصب عندما فتح السلطان حلب، في سنة ٥٧٩هـ. وقيل إنه لما تم فتحها أنشد ابن الزكي قصيدة، تنبأ فيها بتحرير بيت المقدس. ويُذكر أن ابن الزكي رتّب له نائباً وهو القاضي زين الدين نبأ بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسي[٥]. وتحسن الاشارة هنا إلى ما يذكره ابن العديم، فقد ذكر أن صلاح الدين سير الى القاضي محيي الدين في دمشق، بسفارة القاضي الفاضل، فأحضر إلى حلب، وولي قضاءها[٦].

ويُذكر أن ابن الزكي كان قد تظاهر بترك بالنيابة، ولازم بيته، وبقي كذلك إلى أن توفي ابن أبي عصرون، فولاه صلاح الدين القضاء، وعظمت

---

(١) انظر: العبر ٣/٤٦، مرآة الجنان ٣/٢٧٨.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٣٣٣. وانظر: العبر ٣/٩٠، النجوم الزاهرة ٦/١٠٩ ـ ١١٠، الدارس ١/٣٩٩ ـ ٤٠٤، قضاة دمشق/ ٤٩ ـ ٥١.

(٣) الذيل على الروضتين/ ٣١، البداية والنهاية ١٣/٣٣، نزهة الخاطر/ ١٠٣، التاريخ المكلل/ ١١١.

(٤) البداية والنهاية ١٣/٣٣.

(٥) انظر: البرق الشامي (تحقيق د. ششن)/ ١٢٦، ١٢٨، (تحقيق د. فالح)/ ١٣٢، ١٣٣. مضمار الحقائق/ ١٤٤ ـ ١٤٥، الروضتين ٢/٤٧، الذيل على الروضتين/ ٣١، ٣٢، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٠، ٦/٢٢٩، زبدة الحلب ٣/٧١، ٧٢، قضاة دمشق/ ٥٤، ٥٥، نزهة الخاطر/ ١٠٣، ١٠٤.

(٦) زبدة الحلب ٣/٧١.

رتبته عنده[1] .

ويذكر أبو شامة المقدسي أن ابن الزكي تولى قضاء دمشق في ربيع الأول من سنة ٥٨٧هـ[2] ، عوضاً عن القاضي ابن أبي عصرون .

ويذكر الأسدي ، في حوادث سنة ٥٨٧هـ ، أنه فيها «عزل السلطان أبا حامد بن أبي عصرون عن قضاء دمشق ، وولى محيي الدين بن الزكي[3] . ثم أصبح ابن الزكي قاضياً للقضاة ، في سنة ٥٨٨هـ ، واستمر يتولى منصبه هذا إلى أن توفي سنة ٥٩٨هـ[4] .

★ ★ ★

واشتغل ابن الزكي بالتدريس إذ إنه درَّس في عدد من المدارس بدمشق ، ومنها المدرسة التقوية[5] . وقد نتساءل هنا : متى ابتدأ ابن الزكي التدريس ، في هذه المدرسة؟ يقول ابن شداد : «أول من ذكر الدروس بها قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي ومن بعده محيي الدين بن زكي الدين ، ثم انتزعت من يده» ، ووليها غيره ، ثم عادت إليه ثانية[6] .

ويذكر النعيمي أن هذه المدرسة قد وقفت في سنة ٥٧٤هـ . بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت٥٨٧هـ) ، وهي منسوبة إليه[7] . وهذا يبين أن ابن الزكي قد ابتدأ التدريس بها بعد سنة ٥٧٤هـ .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، الوافي بالوفيات ٤ / ١٧٠ ، قضاة دمشق / ٥٣ ، نزهة الخاطر / ١٠٤ .

(٢) كتاب الروضتين ٢ / ١٩٤ ، الذيل على الروضتين / ٣١ . وانظر : البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ، الانس الجليل ٢ / ١٣٤ ، الدارس ١ / ٢١٩ ، قضاة دمشق / ٥٢ ، نزهة الخاطر / ١٠٥ .

(٣) قضاة دمشق / ٥١ .

(٤) الذيل على الروضتين / ٣٢ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ، قضاة دمشق / ٥٢ .

(٥) انظر : الدارس ١ / ٢١٦ ـ ٢٢٥ .

(٦) الاعلاق الخطيرة ـ دمشق / ٢٣٥ ، الدارس ١ / ٢٢٠ .

(٧) انظر : الروضتين ٢ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، العبر ٣ / ٩٤ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، الدارس ١ / ٢١٦ ـ ٢٢٠ .

وقد تقدم قول ابن شداد أن أول من درّس بها هو قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي، غير أن النعيمي يذكر أنه لعل أول من درّس فيها أبو المظفر بن عساكر، عبدالله بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله (٥٤٩ ـ ٥٩١هـ). ويستشهد النعيمي بما قاله السبكي والأسدي، إذ قالا إنه قد درّس بالتقوية، ولم يقولا إنه أول من درّس بها [١].

ولعل هذا يزيل التناقض بين ما يذهب إليه ابن شداد، وما يذهب إليه النعيمي، علماً بأن قول النعيمي غير راجح بدليل استخدامه لفظة «لعل» في كلامه.

ودرّس القاضي ابن الزكي في المدرسة العزيزية [٢] في دمشق، ويذكر ابن شداد أنه «أول من درّس بها»، وكان ذلك في سنة ٥٩٢هـ. ويذكر الذهبي، وابن كثير أن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين قد أمر القاضي محيي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية، المنسوبة إليه، وكانت داراً للأمير عز الدين أسامة، ففعل [٣].

عُني القاضي ابن الزكي بتدريس التفسير، والفقه، وغيرهما من العلوم. ويشير أبو شامة المقدسي إلى أنه كان يدرّس في مدرسته بالكلّاسة [٤] درساً عاماً في التفسير [٥]. ومن كتب التفسير التي عني ابن الزكي بها تفسير ابن بَرَّجان أبي الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي (ت٥٣٦هـ) [٦]، فقد ذكر أنه اطلع عليه، وأخذ منه. ومن ذلك ما أخذه حول التنبؤ بتحرير بيت المقدس، وقد ضمن ذلك في قصيدة له قالها في فتح حلب سنة ٥٧٩هـ، يقول مخاطباً السلطان صلاح الدين:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/١٢٨، الدارس ١/٢٢١. (ورد في الدارس خطأ ان ابا المظفر بن عساكر توفي سنة ٥٧١هـ. الدارس ١/٢٢١).

(٢) انظر: الدارس ١/٣٨٢ ـ ٣٩٨.

(٣) الاعلاق الخطيرة ـ دمشق/ ٢٣٩، العبر ٣/١٠٥، البداية والنهاية ١٣/١٢، الدارس ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٤) انظر: الدارس ١/٤٤٧ ـ ٤٥١.

(٥) الذيل على الروضتين/ ٣٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٦) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، ٢٣٧.

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب [1]

فكان كما قال. وقد «قيل لابن الزكي: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن بَرَّجان في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ [2]. ويعقب ابن خلكان على ذلك بقوله: «ولما وقفت أنا على هذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة» [3]. ويوصف هذا التفسير بأنه «تفسير كبير في مجلدات، ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور بين أهل هذا الشأن. وقد استنبطوا من رموزاته أموراً، فأخبروا بها قبل الوقوع» [4]. وجاء «أكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات» [5]. لقد اثبت هذا كله كما ورد في المصادر، مع الاعتقاد أن بني البشر لا يستطيعون التنبؤ بالغيب.

ويذكر أبو شامة أن ابن الزكي كان يحرض على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح [6]. وكان يدعو إلى حفظها. وكان هو نفسه يحفظها، ويُحفِّظها أولاده [7].

ويبدو أن عناية ابن الزكي كانت منصبة على العلوم الشرعية، والعلوم

---

(١) يعارض ابن الزكي ابا تمام في قصيدته التي أنشأها في موقعة عمورية «السيف اصدق انباء من الكتب...»، واورد العيني البيت منسوباً الى القاضي فخر الدين بن المولى، كما اورده منسوبا الى ابن سناء الملك في قصيدته: «بدولة الترك عزت ملة العرب...»، ولم يرد في ديوان ابن سناء الملك. ثم اورده منسوبا الى ابن الزكي. (انظر: عقد الجمان ـ ج: ٢٥، ٢٦ حوادث ٥٧٩هـ. ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق د. محمد عبدالحق/ ٩ ـ ٢٢، تحقيق محمد نصر ٢/١ ـ ٤، وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، الادب في العصر الايوبي/٢٥٧.

(٢) الروم الآيات ١ ـ ٣.

(٣) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: سنا البرق الشامي (تحقيق د. ششن)/ ٢٠٣، (تحقيق د. النبراوي)/ ٢٢٦، مرآة الزمان ١٤/١٤٣، ١٥٣، الكامل ١١/٩٧، المختصر ٣/٦٦، تتمة المختصر ٢/١٤١، سير اعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، مرآة الجنان ٣/٣٧٦ ـ ٣٧٧، السلوك. ج١ق ١/٨١، تاريخ الخلفاء/ ٤١٨، الدارس ١/٢٣٠، ٢٣١، نزهة الخاطر/ ١٠٤.

(٤) كشف الظنون ١/٦٩ ـ ٧٠.

(٥) وفيات الاعيان ٤/٢٣٧.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١/٢٢٦.

(٧) الذيل على الروضتين/٣٢، وانظر: البداية والنهاية ١٣/٣٣، قضاة دمشق/٥٣.

اللغـوية والأدبية، ولكنـه كان يقف موقفـاً سلبياً من الاشتغـال بالمنـطق، والجدل، وكان ينهى عن الاشتغال بهما وبكتبهما. وقد بلغ موقفه هذا منهما أنه قد قطّع كتباً في هذين العلمين، أمام الحضور في مدرسته بالكلاسة. وقد كان يذكر الدرس العام للتفسير[1]. وهو موقف سلبي كان يحسن ألا يكون.

★ ★ ★

وكان القاضي ابن الزكي «يتولى نظر الجامع الأموي بنفسه». ويُذكر أنه كان بيده «الأوقاف التي للجامع وغيره». وقد استمر مشرفاً على تلك الأوقاف إلى أن عُزل عنها في جمادى الأولى سنة وفاته، وهي سنة ٥٩٨هـ، وكان ذلك قبل وفاته بشهور[2].

تلاميـــذه:

تلقى العـديد من طالبي المعـرفـة العلم على القـاضي الخطيب ابن الزكي، وسمعوا منه، ورووا عنه، ويذكر السبكي أنه قد حَدَّث، وسمع منه طالبو العلم، وروى عنه العديدون، ومنهم:

الشهـــاب القـوصي، إسمـاعيل بن حامـد بن عبـدالـرحمن (٥٧٤ ـ ٦٥٣هـ)[3]، والمجد بن عساكر[4]، وجماعة آخرون. كما أجاز الكثير من طالبي العلم الـذين سمعـوا منه. وممن حدّثوا عنه بالإجازة أحمد بن أبي الخير[5].

---

(١) الذيل على الروضتين/ ٣٢، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣، نزهة الخاطر/ ١٠٥.

(٢) انظر: الذيل على الروضتين/ ٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٥٨، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٣) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٨٩، العبر ٣/ ٢٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧، الدارس ١/ ٨٥، ٩٧، ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٨، قضاة دمشق/ ٥٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٨.

منزلتــه:

كان ابن الـزكي يتبـوأ مكانة مرموقة، إذ كانت له عند الـسلطان صلاح الـدين «المنـزلة العالية، والمكانة المكينة»[1]. وقد كان كذلك في العلم والقضاء، ويوصف بأنه كان ذا عقل ورزانة، وورع، وديانة»[2]، وبأنه كان كامل السؤدد[3].

ونتبين تلك المنزلة من مشاركته في المجالس العلمية التي كان السلطان يشارك فيها، والمكان الذي يجلس فيه عندما تعقد تلك المجالس. ومن ذلك مجلس علمي عقـده القـاضي جمـال الـدين المصـري، يونس بن بدران (ت٦٢٣هـ)[4]، وحضـر عند السلطان المعظم عيسى بن الملك العادل، وشارك فيه الأعيان والأكابر من أمثال شيخ الحنفية جمال الدين الحصيري، محمد بن أحمد بن عبدالسيد البخاري (٥٤٦ ـ ٦٣٦هـ)[5]، والشيخ سيف الـدين الآمدي، علي بن محمد (٥٥٠ ـ ٦٣١)هـ)[6]، ومحيي الدين بن الزكي، وفخر الدين بن عساكر، عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله (٥٥٠ ـ ٦٢٠هـ)[7]، وتقي الدين بن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (٥٧٧ ـ ٦٤٣هـ)[8]، وغيرهم[9].

ونتبين هذه المنـزلـة من إشادة الكثيرين بابن الزكي. ومن ذلك إشادة

---

(١) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٩، الانس الجليل ٢/١٣٤.

(٢) التاريخ المنصوري/٢٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق/٥٣.

(٤) انظر: الذيل على الروضتين/١٤٨، العبر ٣/١٩٢، البداية والنهاية ١٣/١١٤ ـ ١١٥.

(٥) انظر: العبر ٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/١٥٢ ـ ١٥٣، النجوم الزاهرة ٦/٣١٥، الدارس ١/٣٦٢.

(٦) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٦١، العبر ٣/٢١٠، البداية والنهاية ١٣/١٤٠ ـ ١٤١.

(٧) انظر: الذيل على الروضتين/١٣٦ ـ ١٣٩، العبر ٣/١٨١ ـ ١٨٢، البداية والنهاية ١٣/١٠١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٥ ـ ٢٠٩.

(٨) انظر: العبر ٣/٢٤٦ ـ ٢٤٧، البداية والنهاية ١٣/١٦٨ ـ ١٦٩، الانس الجليل ٢/١٠٤، الدارس ١/٢٠، ٢١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٩ ـ ٢١١.

(٩) الدارس ١/٣٦١، ٣٦٢.

القاضي الفاضل به في رسالة كتبها إليه، إذ نراه يشيد به في معارفه، وفضائله، ويخاطبه في إحدى رسائله التي كتبها إليه فيقول: «كان كتابي تقدم إلى المجلس السامي»، ثم يدعو له بنفاذ الأمر، وعلو القدر، وأسعد الحظ، وأطول العمر، كما يدعو أن تكلأه عين العناية الربانية في دنياه ودينه، وأن تعصمه من النوائب. ويعود ليشيد به في ثباته، ويقينه، وفيض يمينه، وفي أعماله للدنيا والآخرة، وهي أعمال مقبولة كما يصفها[1].

وقد قيلت أشعار تشيد بابن الزكي، ويذكر ابن أبي أُصيبعة أنه نقل شعراً لأبي الفضل مؤيد الدين محمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمن الحارثي المهندس الطبيب[2]، من خطه في مقالته في رؤية الهلال، ألفها للقاضي محيي الدين بن زكي الدين»، ويقول فيها يمدحه[3]:

والنَّعْتُ ما لم تكُ الأفعالُ تَعْضُدُه ... اسمٌ على صورة خُطَّتْ من الصُّوَرِ
وما الحقيقُ به لفظٌ يطابقُه الـ ... ـمعنى كنجل القُضاةِ الصِّيدِ من مُضَرِ
فالدينُ والمُلْكُ والإسلامُ قاطبةً ... برأيه في أمانٍ من يد الغِيَرِ
كم سَنَّ سُنَّةَ خيرٍ في ولايته ... وقام لله فيها غيرَ معتذرِ
يرجو بذاك نعيماً لا نفاد له ... جوار ملك عزيز جل مقتدر

ويمدحه الشاعر فتيان الشاغوري (٥٣٠ ـ ٦١٥هـ)[4] في ثلاث من قصائده، ويشيد به فيها، كما يشيد بآله فيقول[5]:

والجدُّمدحُ الطاهر القاضي زكـ ... ـي الدين والدنيا أبي العباسِ
يا ابن الألى شهدَ الزمانُ بأنهمْ ... بعد الخلائف فيه خيرُ الناسِ
ما للأمور إذا شَكا من كَلْمِها ... شوسُ الملوكِ سواكُمُ من آسِ

---

(١) نهاية الارب ٨/١٢، ١٤، ١٥.
(٢) انظر: عيون الانباء في طبقات الاطباء/ ٦٦٩ ـ ٦٧١.
(٣) نفسه/ ٦٦٩، ٦٧٠. وانظر: الدارس ٢/٣٨٧، ٣٨٨.
(٤) انظر: خريدة القصر، قسم شعراء الشام ١/٢٤٧ ـ ٢٥٩، وفيات الاعيان ٤/٢٤ ـ ٢٦، ديوانه (المقدمة).
(٥) ديوانه/ ٢٣١، ٢٣٢.

ذَلَّلْتمُ بعلومكمْ وحُلومكمْ إذ رُضْتُموها كَلَّ ذات شِماسِ
وأطاعَ أمرَكُمُ الزمانُ وقد رَمَى حُسَّادَكُمْ بالرَّغْمِ والإتعاسِ
وبلغتُمُ بالرَّأي ما لم يستطع إدراكَهُ بالّلام أسْدُ حِماسِ
حَسدَتْ دمشقَ على مقامكمُ بها بغدادُ وهي حِمَى بني العباسِ

ويركز الشاعر الشاغوري، في إشادته بابن الزكي، على الاشادة بأدبه وبيانه، ومعرفته بالعلوم الشرعية، فيقول[1] :

أنتَ الذي بفَعالِهِ ومَقالِهِ في حُكْمِهِ أنْسَى ذكا ابن إياسِ
إنْ يَنْثُرِ الدُّرَّ النفيس بنانُهُ يَنْظِمْهُ بالأقلامِ في القِرْطاسِ
ببيانِهِ وبنانِهِ سحران من لفظٍ وخطٍّ باهر الجلّاسِ
طَبٌّ بأحكام الشريعة فارسٌ في حَوْمَتي نصٍّ وحُسْنِ قياسِ

ويصور الشاعر نفسه وممدوحه بزهير بن أبي سُلمى، وهَرِم ابن سنان.

ويشيد به وبابنه، ويقر بأنعمهما عليه، ويهنئهما بالعام الجديد[2].

ويمدحه في قصيدة أخرى، وقد مضى رسولاً إلى حلب، ويشيد به علماً، ومناظرة، وجدلاً، وكتابة، فيقول[3] :

خَبِّرْ لَدَيْهِ مَنْ وراءَ النهر في الـ ـجدالِ يلقَى البحرَ بالماءِ الوَشَلْ
يضربُ في كلِّ العلومِ باليد الـ ـبيضاءِ لا سوء بها ولا شَلَلْ
وكُتبُهُ الكتائبُ الشُّهْبُ إذا أنشأها مُبْتدِهاً أو مُحْتفِلْ
عبارةُ الفاضلِ في كتابِهِ ترمي سطورَ ابن هلال بالخجَلْ
أغْزرُ من بحرٍ خِضَمٍّ عِلْمُهُ وحِلْمُهُ أرْزَنُ من كُلِّ جَبَلْ

ثم يصور عودته الى دمشق، ونجاحه في وفادته، كما يبدو في قوله[4] :

قدومُهُ سَرَّ دمشقَ بعدَ ما ساءَ وجوه أهلها حين رَحَلْ
فالخيرُ ساعٍ معَهُ حيثُ سَعَى مُصاحباً ونازلٌ أينَ نزَلْ
يا حلبُ البيضاءُ قد وافاكِ مِنْ محمد في دهرنا خيرُ الرُّسُلْ

---

(١) ديوانه/ ٢٣٢.
(٢) انظر: ديوانه/ ٢٣٣، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠.
(٣) ديوانه/ ٣٧٠، ٣٧١.
(٤) ديوانه/ ٣٧١، ٣٧٢.

ذاك هو القاضي الذي أقلامُهُ بها الأقاليمُ تُساسُ والدُّوَلْ
ذو مَحْتِدٍ زاكٍ ومجدٍ بَاذخٍ ومَنْصِبٍ يعْلُو كما تَعْلُو القُلَلْ

وفي قصيدة ثالثة، يشيد به الشاغوري، بمجده، وعليائه، ونعيمه، وبؤسه، وإغاثته ذوي الحاجات، ثم يشيد به في رعايته الحركة الأدبية، وتشجيعه الأدب والأدباء[1].

لقد قام ابن الزكي بدور بارز، في المجالات الدينية، والأدبية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها. ومن ذلك أنه مضى رسولاً إلى حلب كما تقدم. ولما نزل الفرنج على تبنين، في سنة ٥٩٤هـ، أنفذه الملك العادل رسولاً إلى الملك العزيز بمصر، مستصرخاً، فأرسل العزيز العساكر، وقدم بنفسه، فرحل الفرنج خائبين[2].

وفي المضمار المذهبي، وقف ابن الزكي ضد الحنابلة[3]. وكانت علاقته سلبية مع الاسماعيليين[4].

بينه وبين القاضي الفاضل:

يذكر الصفدي أن مكاتبات القاضي الفاضل الى ابن الزكي، تقع في مجلدة كبيرة[5]. ولم يصل إلينا من تلك المكاتبات إلا أجزاء من عدد من الرسائل التي كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. ومن تلك الرسائل رسالة كتبها إليه، من مصر، في سنة ٥٩٣هـ، يتحدث فيها عن معضلة من المعضلات العادية التي طرقت الناس في مصر وهم نيام، وقد كانت معضلة رهيبة جعلت الناس يظنون أن ساعة الميعاد قد طرقت، وكان ذلك في «الثلث الأول من ليلة الجمعة»، في الثامن عشر من جمادى الآخرة، من السنة الأنف ذكرها. ويصف الفاضل تلك المعضلة العادية بأنها «عارض فيه

(١) ديوانه/ ٥٧٤.
(٢) خطفه البارق (عن الروضتين) ٢/٢٣٣، الذيل على الروضتين/١٣.
(٣) انظر: الذيل على الروضتين/ ٤٦، ٤٧، البداية والنهاية ١٣/٢٠، ٢١، ٣٣، ٣٩، الدارس ٢/٢٥٦.
(٤) يُذكر انه حدث لابن الزكي قضية معهم بسبب قتل شخص منهم يعرف بالفافا. ولذلك كان يخاف على نفسه، فلم يكن يخرج الا لصلاة الجمعة من باب سر الى الجامع الاموي، من داره التي كانت بباب البريد. انظر: الذيل على الروضتين/٣٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، الوافي بالوفيات ١٤/١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٩، قضاة دمشق/ ٥٤.
(٥) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

ظلمات متكاثفة، وبروق خاطفة، ورياح عاصفة». ويصور تلك الرياح العاصفة، والبروق المتوالية من جهة المقطم، «وكأن جهنم قد سال منها واد، وعدا منها عاد، وزاد عصف الريح إلى أن انطفأت سرج النجوم، ومزقت أدم السماء». وكان الناس لا حول لهم ولا قوة، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾[1]، ولا عاصم لهم إلا الاستغفار والاستغاثة، وكانوا معتصمين بالمساجد الجامعة.

ويعلل الكاتب ما وقع بالناس بأنهم «لا يستغربون العذاب لأنهم على موجباته مصرون، وفي وقت وقوع واقعاته باستحقاقه مقرون. وقد استمرت تلك الليلة مدلهمة حتى الثلث الأخير، إلى أن أذن الله لها بالركود، فأخذ الناس يتبادلون التهاني، إذ رأوا وكأنهم قد بُعثوا بعد النفخة، وأفاقوا بعد الصيحة.

وهكذا يخاطب القاضي الفاضل ابن الزكي في أمر مصيبة عامة نزلت بالمسلمين في مصر، وهي مسألة تهم كليهما، بل تهم كل المسلمين. ويبين القاضي الفاضل بأنه لم يصف إلا ما وقع فعلاً، كما يبدو في قوله مخاطباً ابن الزكي: «ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم محرفاً، والقول مجزفاً، فالأمر أعظم، ولكن الله سلم». وعلى الناس أن يتخذوا من ذلك كله العظة والعبرة[2].

وفي الحديث عن منزلة ابن الزكي، تقدم الحديث عن رسالة أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي، اشاد فيها به. ويذكر الفاضل فيها أن رسالة وردت اليه من ابن الزكي[3]، ولكن تلك الرسالة لم تصل إلينا للأسف. وفي رسالة القاضي الفاضل تلك، يصور العلاقة بينهما بأنها كانت علاقة وطيدة، كما يبدو في قوله: «.. فإنك تُسكِّن بها قلباً أنت ساكنه، وتسر بها وجهاً أنت على النوى معاينه»[4].

ومما يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بينهما، ما ورد في رسالة أخرى للفاضل

---

(١) البقرة آية ١٩.

(٢) كتاب الروضتين ٢/٢٣٢.

(٣) انظر: نهاية الأرب ٨/١٢.

(٤) نفسه ٨/١٢، ١٣.

كتبها إلى ابن الزكي، يقسم فيها أنه يرغب في الاجتماع به رغبة قوية، فيجتمع سلك الشمل، ويتصل جديد الحبل، كما يقول. ويتحدث في رسالته هذه عن أمر يهم المسلمين، ويتمثل في واقعة من وقائع صلاح الدين الجهادية، وهي نوبة بيروت. ثم يشيد بابن الزكي في تنفيذه للقضايا، وإحسانه في تنفيذها، كما يقول[1].

وكتب إليه رسالة إخوانية يتشوق فيها إليه. وفيها يشيد به في فضائله، ومكارمه، ومعاليه، ومحامده، ويصف أشواقه إليه، ويتمنى جواباً منه «يشفي الجوى، وينفي ما أسارنه النوى، ويريح القلب، ويزيح الكرب»[2].

ووردت رسائل أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. وهي تعبر عن مكانته، وتشيد به، وتصور العلاقة بينه وبين القاضي الفاضل. ويشير الفاضل في إحداها إلى وصول رسالة من ابن الزكي، ويصورها عذباً فراتاً سائغاً، ملأت قلبه سروراً. ويشير في رسالة أخرى إلى توالي كتب ابن الزكي إليه. ويصورها قد أقرت ناظريه، وأورثته زهواً وخيلاء[3].

وفاته:

توفي القاضي محيي الدين بن الزكي، في السابع من شعبان سنة ٥٩٨هـ، في دمشق. ودفن بتربته بسفح جبل قاسيون[4].

---

(١) نهاية الأرب ٨/١٦.

(٢) رسائل عن الحرب والسلام/ ١٥٠، ١٥١.

(٣) انظر انشاءات القاضي الفاضل/ ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٤) يذكر ان محيي الدين بن الزكي اختل في آخر عمره. ويُذكر انه بينما كان في داره يوماً، وعنده جماعة من اكابر دمشق، ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلة عند بعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدفه غلام صاحب البغلة، فخرج على وجهه الى الميدان، فلحقه الجماعة، وأمر له بضرب خيمة، وبات الناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات.

ويلخص بعضهم ذلك بقوله: انه في سنة ٥٩٧ هـ، حدث خلط لابن الزكي، شوش عقله، وغيّره. وكان خرج راكباً، فوقع عن دابته، فمات، رحمه الله.

انظر: الذيل على الروضتين/ ٣١، ٣٢، التاريخ المنصوري/ ٢٤، مرآة الزمان ١٤/١٤٣، وفيات الأعيان ٤/٢٣٦، سير اعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٩، مفرج الكروب ٣/١٣٤، الوافي بالوفيات ٤/١٧١، تاريخ ابن الفرات ٤/٢٠٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، الانس الجليل ٢/١٣٥، قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٥٥. التاج المكلل/ ١١١.

الخطبة القدسية:

نالت الخطابة عناية كبيرة في فترة الحروب الصليبية[1]، فقد كان العصر عصراً احتلت فيه ديار الاسلام. وشارك الخطباء والكتّاب، والشعراء، في الحث على تحريرها. وكان تحرير تلك الديار الإسلامية، وعلى رأسها بيت المقدس، هاجساً ألهم الخطباء الكثير من الخطب. ومن ذلك خطب أربع أنشأها القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي، المعروف بابن الزكي، ولكنه لم تصل إلينا إلا واحدة منها. وكانت تلك الخطب الأربع قد أُلقيت في جمع أربع متوالية، وذلك بعد تحرير بيت المقدس، في السابع والعشرين من رجب، سنة ٥٨٣هـ[2]. وكانت الخطبة التي وصلت إلينا أول خطبة تلقى في المسجد الأقصى بعد تحريره، في أول جمعة تلت يوم الفتح. وكان يوم الفتح يوم جمعة، ولكن المسلمين لم يستطيعوا إقامة صلاة الجمعة بالأقصى، في يوم الفتح ذاك، فأقاموها فيه في الجمعة التالية، أي في الرابع من شعبان، من السنة ذاتها[3].

شَرَّف السلطان صلاح الدين القاضي ابن الزكي باختياره ليكون أول خطيب يخطب بالمسجد الأقصى بعد تحريره. وقد فعل السلطان ذلك لأن ابن الزكي كان قد تحدث عن التنبؤ بفتح بيت المقدس، كما قيل[4].

شهد ابن الزكي فتح بيت المقدس مع صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ، وكان له يومئذ ثلاث وثلاثون سنة، وكان أول من خطب به. ويُذكر أنه صعد المنبر، وهو لابس خلعة سوداء. وكان أول بداهته قوله تعالى: ﴿فقطع دابر القوم

---

(١) الادب في العصر الايوبي/ ١٧٨، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية / ٣٧٩، ٣٨٢، أدب الحروب الصليبية/ ٢٠٣، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي/ ٥٤، عصر الدول والامارات ـ مصر والشام/ ٨١٥، نصوص عن أدب الحروب الصليبية/ ٧٨.

(٢) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠.

(٣) نفسه ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) انظر: البرق الشامي ٥/ ١٠٩ (ط استانبول)، ٥/ ١١٩ (ط عمان)، سنا البرق الشامي (ط مصر) ٢٢٦، الروضتين ٢/ ٤٥، ٤٦، ١١٠، الكامل ١١/ ٤٩٧، وفيات الاعيان ٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، المختصر ٣/ ٦٦، تتمة المختصر ٢/ ١٤١، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، ١٧١، مرآة الجنان ٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧، عقد الجمان للعيني ٢٥/ حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ١/ ٢٣٠، ٢٣١، بيت المقدس في ادب الحروب الصليبية/ ٦٥ ـ ٦٧.

الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾[1]. ثم أورد تحميدات من القرآن الكريم[2].

يذكر العماد الأصفهاني أنه عندما حُررت مدينة بيت المقدس، كان هناك «فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكل منهم سبق بخطبته الخطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً». ولكن السلطان عين ابن الزكي للصلاة والخطبة[3]، كما تقدم. وكانت سعادته كبيرة باختياره ليلقي الخطبة الأولى في المسجد الاقصى بعد تحريره من الاحتلال. وبذلك حاز الفضيلة على فضلاء الغرب والشرق[4].

ويذهب ابن خلكان إلى مثل ما ذهب إليه العماد، إذ يقول إنه قد تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمة السلطان صلاح الدين. ويضيف: إن كل واحد منهم جهز خطبة بليغة، طمعاً في أن يكون هو الذي يحظى بشرف إلقائها في تلك المناسبة، غير أن المرسوم خرج إلى القاضي ابن الزكي ليكون أول من يخطب هناك[5].

ومما تقدم نتبين أن الخطباء كانوا قد أعدوا خطباً لإلقائها بالأقصى، بل إن كل واحد منهم قد أعد خطبة ليحظى بشرف إلقائها هناك. فهل كان ابن الزكي واحداً ممن أعدوا خطبهم؟ إن قول كل من العماد الأصفهاني، وابن خلكان يوحي بأنه كان قد أعد خطبته. غير أننا نجد الصفدي يذكر أن ابن الزكي لم يكن قد «استعد للخطبة، بل خرج إليه، وقد أذن المؤذنون على السدة، وسأله السلطان أن يخطب، ويصلي بالناس، وهذا مقام صعب»[6].

وقد تحسن الاشارة في هذا المجال إلى أن أبا القاسم الكلاعي يذكر أنه «يُستحب للخطيب أن يرتاد الخطبة قبل أن يقوم لها، ويؤلفها قبل أن يخطب بها»[7].

★★★

(١) الانعام آية ٤٥.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق/ ٧٤.

(٣) الفتح القدسي/ ١٣٨، ١٣٩، كتاب الروضتين ٢/١٠٨، ١٠٩.

(٤) الفتح القدسي/ ١٣٩، كتاب الروضتين ٢/١٠٩. وانظر: وفيات الأعيان ٤/٢٣٠.

(٥) وفيات الأعيان ٤/٢٣٠.

(٦) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠. وانظر: قضاة دمشق/ ٥٤.

(٧) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٨.

استهل ابن الزكي الخطيب خطبته بآيات بينات في التحميد، وهي تحميدات تناسب المقام الذي كان يتحدث فيه، وهو التغني بالنصر وفتح بيت المقدس بعد أن بقي إحدى وتسعين سنة بأيدي الغزاة المحتلين. والتحميد واضح في الآيات التي اقتبسها الخطيب مستهلاً بها خطبته.

ويذكر ابن خكان أن ابن الزكي «لما رقي المنبر، استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال: «فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين»[1]. ثم قرأ أول سورة الأنعام: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور﴾[2]. ثم قرأ من سورة سبحان ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ الآية[3]. ثم قرأ أول سورة الكهف: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾[4]، الآيات الثلاث. ثم قرأ من سورة النمل: ﴿وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[5]. ثم قرأ من سورة سبأ: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات﴾ الآية[6]. ثم قرأ من سورة فاطر: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾، الآيات[7]. ويضيف ابن خلكان: وكان قصد ابن الزكي «أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم»[8].

اختار ابن الزكي هذه التحميدات من القرآن الكريم، بل اقتبسها منه، لأنها تعبر عما أحس به نحو ما أحرزه المسلمون من النصر والتحرير. وهي لا تعبر عما أحس به الخطيب فحسب، بل تعبر عما أحس به المسلمون إزاء النصر وتحرير بيت المقدس. وهم يرون أن عليهم التوجه إلى الله شاكرين لما منحهم من نصره. ويؤكد هذا ما يذكره الخطيب في خطبته، فهو يصور الفتح نعمة من الله، وعلى المسلمين أن يتوجهوا بالشكر إلى ربهم على آلائه

(١) الأنعام آية رقم ٤٥.
(٢) الأنعام آية رقم ١.
(٣) الاسراء آية رقم ١١١.
(٤) الكهف آية رقم ١.
(٥) النمل آية رقم٥٩.
(٦) سبأ آية رقم ١.
(٧) فاطر آية رقم ١.
(٨) انظر: وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٠، ٢٣١، مرآة الزمان ٣/ ٣٧٥، إتحاف الاخصا(ط)١/ ٢٦٣.

التي أنعم بها عليهم[1].

ولم يكتف الخطيب بآيات التحميد كالتي استهل بها خطبته، فقد توجه إلى الله بالتحميد في مواضع أخرى من الخطبة، إذ نراه بعد أن انتهى من ذكر الآيات التي اقتبسها، حمد الله على نصره، وإعزازه الإسلام والمسلمين بتحرير الأرض وتخليصها من الغزاة المحتلين، وإظهار دين الإسلام على سائر الأديان، وتطهير البيت المقدس من الشرك وآثامه. ويسترسل ابن الزكي في التحميد في مواضع أخرى من خطبته، «لإعزازه لأوليائه، ونصره لأنصاره»[2].

★★★

ويذكر ابن الزكي الخلفاء الراشدين في خطبته، ويتحدث عن بعض فضائلهم، ومن ذلك أن أبا بكر كان أول من آمن بالرسول ودعوته، وأن عمر بن الخطاب كان أول من فتح بيت المقدس، ورفع فيه شعار الإسلام عالياً، وأن عثمان بن عفان جمع القرآن. وأن علي بن أبي طالب زلزل الشرك، وكَسَّر الأوثان[3].

وفي هذا المقام، تجدر ا لإشارة إلى حديث ابن الزكي عن الفتح القدسي العمري، وهو حديث له دلالته هنا، ولهذا نجد الخطيب يربط بين هذا الفتح القدسي العمري، والفتح القدسي الصلاحي. وهو بهذا يستلهم التاريخ وأحداثه العظام، ويربط بين المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

★★★

يصور الخطيب، في خطبته هذه، معالم قدسية مدينة بيت المقدس وفضائلها، ومن تلك المعالم كونها القبلة الأولى، ومسرى الرسول ومعراجه، وفيها المكان الذي صلى فيه رسول الله. ولهذا نجد الخطيب يتحدث في مقدمة خطبته عن الإسراء والمعراج، ويقتبس قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ الآية، وينثر ذلك في تضاعيف كلامه، فيقول مشيداً

(١) انظر: الروضتين ٢/ ١١٠، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣١، شفاء القلوب ١٣٠ ـ ١٣٢.
(٢) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣١، شفاء القلوب/ ١٣١، ١٣٢.
(٣) كتاب الروضتين ٢/ ١١١، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣١، شفاء القلوب/ ١٣٢.

بالرسول: «.. رافع الشك، وداحض الشرك، الذي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وعرج به إلى السموات العلى» ، إلى «سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر، وما طغى»[1].

ويفصل الخطيب في حديثه عن قدسية بيت المقدس، كما يبدو واضحا في موضوع الخطبة، ولا غرو في ذلك، فإن حديثه جاء تغنياً بالفتح القدسي العظيم، وتصويراً للمكانة التي كانت مدينة بيت المقدس تحظى بها في نفوس المسلمين، وهي ما زالت كذلك، إذ نراه يتحدث عن فضائل بيت المقدس فيقول: «فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام. وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومقر الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل تنزل الأمر والنهي. وهو في أرض المحشر، وصعيد المنشر. وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين. وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالملائكة المقربين... وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه»[2].

ومن الواضح أن ابن الزكي يربط بين المقدسات الاسلامية في بيت المقدس، والمقدسات الإسلامية في الحجاز، بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام. وهو رباط أرضي وسماوي.

ويستمر ابن الزكي في التركيز على بيت المقدس وفضائله في خطبته القدسية هذه. ويبين أنه هو «البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في خطابه» في سورة الإسراء، كما يبين أنه «هو البيت الذي عظمته الملوك، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة» من الله عز وجل[3].

يتحدث ابن الزكي، عن المحور الرئيسي في خطبته، وهو الفتح القدسي، فيصوره فضيلة شريفة لا يجاري المسلمين المجاهدين فيها مُجارٍ،

---

(١) النجم الآيات ١٤ ـ ١٦.

(٢) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠، وفيات الاعيان/ ٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٢، ١٣٣.

(٣) كتاب الروضتين ٢/ ١١١، وفيات الاعيان/ ٢٣٣، شفاء القلوب/ ١٣٤.

ولا يباريهم في شرفها مبارٍ[1]. ويركز الخطيب على الحدث العظيم، ولم يركز على الفاتح في خطبته الأولى، بينما ركز عليه في خطبته الثانية.

ويعظم ابن الزكي الفتح فيصفه بأنه «الفتح الجليل، والمنح الجزيل، والفتح المبين». ويصور آثار الفتح في نفسه، وفي نفوس المسلمين، ويصور أحاسيسه ومشاعره إزاء الحدث، كما يصور أحاسيس المسلمين ومشاعرهم إزاءه. وهي آثار شتى، في مجالات شتى، دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وفكرية. وقد شاركت السماءُ الأرضَ في فرحتها بالفتح، بل شارك الملائكة في السماء المسلمين في الأرض، في فرحتهم وابتهاجهم. وما أجمل تصويره فرحة السماء، إذ يصورها وقد تفتحت أبواباً، ويصور الملائكة يتبادلون التهاني في السماء، كما كان أهل الأرض من المسلمين يتبادلونها في الأرض، وقد عم نور الفتح الأرض وأهلها. ويبدو هذا كله واضحاً في قول ابن الزكي: «فهذا هو الفتح الذي فُتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة المقربون. وقرَّ به عيناً الأنبياء والمرسلون»، إلى أن يقول: «فيوشك أن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني بين أهل الغبراء»[2].

ويصور الخطيب الفتح نعمة أنعم الله بها على جيوش المسلمين، وعليهم أن يقدروها حق قدرها، وأن يتوجهو إلى مانحهم النصر بالشكر على ما خصهم به من نعمة الفتح[3].

ويهنىء الخطيب جند الله المجاهدين، بل يهنىء المسلمين عامة، بالفتح القدسي، وهو الفتح الذي رفع مكانتهم عنده، وذكروا به في عليائه، فقد استطاعوا أن يعيدوا شعار الإسلام عالياً في بيت المقدس، وأن يخفضوا شعار الشرك فيه. ولهذا تشكرهم الملائكة في السموات، وتستغفر لهم، وتصلي عليهم، كما يبدو في قوله: «فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده، وشكر لكم الملائكة المنزلون» على جهادهم، وتحريرهم ديار الإسلام[4].

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٠، ١١١، وفيات الاعيان/ ٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣.

(٢، ٣، ٤) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان/ ٢٣٣، ٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥.

ويخاطب ابن الزكي المسلمين المجاهدين الفاتحين بقوله: «أيها الناس». ويبشرهم برضوان الله بعد استرداد مدينة بيت المقدس. وردها الى ما كانت عليه، وتطهيرها، ورفع أعلام الايمان فيها. وذلك لما يَسَّره الله على ايديهم «من استردادهذه الضالة من الأمة الضالة، وردها إلى مقر الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام»[1].

ويشيد ابن الزكي بالمجاهدين الذين حرروا بيت المقدس إشادة بالغة، فيصورهم جيشاً قام بمثل ما قام به المسلمون في صدر الإسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين. وفي هذا تعظيم للنصر والفتح، كما يبدو التعظيم جلياً في ربطه الحديث عن الفتح بالمعجزات النبوية، وربطه بالمعارك الحاسمة في تاريخ الاسلام مثل معركة بدر، ومعركة القادسية، ومعركة اليرموك. يضاف الى هذا ربطه هذا الفتح بالفتح القدسي في عهد عمر بن الخطاب، كما تقدم. ويرى الخطيب الصلة وثيقة بين ما قام به أبطال المسلمين الذين حرروا بيت المقدس في عهد صلاح الدين في العصر الأيوبي، وما قام به أبطال المسلمين في صدر الإسلام، من أمثال خالد بن الوليد وغيره من أبطال المسلمين الخالدين. ويربط بين صراع المسلمين والفرنج في هذه الفترة، وصراع المسلمين واليهود في صدر الإسلام. ويبدو ذلك كله واضحاً في قول خطيبنا ابن الزكي مخاطباً المجاهدين: «فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية. جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية»[2].

ويشكر الخطيب المجاهدين الذين بذلوا نفوسهم في سبيل الله، ويبشرهم بالجنة لقاء صنيعهم، كما يبدو في قوله: «فجازاكم الله عن نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء،

(١) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠، وفيات الاعيان/ ٢٣٢.

(٢) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠، ١١١، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٣.

وأثابكم الجنة فهي دار السعداء»[1].

ويصور ابن الزكي المجاهدين بأنهم قد اختارهم الله، واصطفاهم ليخصهم بالفتح القدسي[2].

★★★

إن المسلمين لم يستطيعوا تحرير بيت المقدس، وغيره من ديار الإسلام، إلا بعد أن أصبحوا جنداً لله يجاهدون في سبيله، بعد أن كانوا جنوداً لأهوائهم، كما تقدم. ولم يستطيعوا تحقيق ذلك إلا بعد أن وحدوا صفوفهم للوقوف في وجه العدو المحتل، والقضاء عليه، وتخليص ديار الاسلام من براثن احتلاله. وقد تمت وحدة المسلمين تلك بين الشام، ومصر، والجزيرة، في عهد نور الدين زنكي أولاً، ثم في عهد صلاح الدين الأيوبي ثانياً. واستطاع المسلمون، بعد ذلك، تحقيق آمالهم وأمانيهم، وكل ذلك فضل من الله عز شأنه. ويعبر ابن الزكي عن ذلك بقوله: «فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عند بنو اسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين. وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى[3]» وهذا قول يتحدث عن الوحدة وآثارها، ويدعو إليها، لأنها الطريق إلى تحقيق النصر والتحرير. كما يوازن فيه بين ما كان عليه المسلمون من تفرق في الكلمة مما أدى الى احتلال ديارهم، وما أصبحوا عليه من وحدة مما أدى إلى تخليص ضالتهم المنشودة من الأمة المعتدية الضالة، كما يصفها الخطيب نفسه. وما أدل تعبيره «وأغناكم بما أمضته كان وقد، عن سوف وحتى»[4].

★★★

ويتبين من النظر في هذه الخطبة أن الصراع بين المسلمين والفرنج المحتلين، لم يكن صراعاً عسكرياً فحسب، ولكنه كان صراعاً في العقيدة أيضاً. ويبدو هذا الأمر واضحاً من النظر إلى اقتباس الآيات التي تتحدث عن وحدانية الله، وتؤكدها. ويكفي أن نشير إلى الآية التي اقتبسها: «وقل الحمد

(١) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان ٤/٢٣٣، شفاء القلوب/ ١٣٣.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الاعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣.

(٣، ٤) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان ٤/٢٣٣، ٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤.

لله الذي لم يتخذ ولداً»[1]. ويبدو هذا النوع من الصراع واضحاً في الحديث عن تطهير بيت المقدس من الشرك ومعالمه[2].

ويركز الخطيب في مقدمة خطبته على الحديث عن وحدانية الله، فيقتبس سورة الاخلاص عدا آيتها الأولى. ويتحدث عن نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أحدثته من تغيير جذري في حياة الإسلام والمسلمين، يقول: «وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»[3].

ويتحدث الخطيب عن معتقد الفرنج المحتلين، مبيناً أن عيسى عليه السلام، قد «شرَّفه الله برسالته، وكرَّمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته، فقال تعالى: ﴿لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله﴾[4]. وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ بنُ مريم﴾[5].

كما يتحدث عن تطهير بيت المقدس من الشرك، فهو البيت الذي «أذن الله أن يُرفع، وأن يُذكر فيه اسمه». وقد أميط الشرك عن طرقه، بعد أن امتد رواقه عليها. ورُفعت فيه قواعد التوحيد، بعد القضاء على الشرك وآثامه[6]. ومن هذا نتبين معالم الصراع بين التوحيد والشرك جلية آنذاك. ويبدو هذا الصراع واضحاً في الحديث عن الفتح، إذ يتحدث الخطيب عن شكر المجاهدين لما أهدوه إلى بيت المقدس «من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد»، وما أزالوه «من أذى الشرك والتثليث»[7].

★ ★ ★

ويدعو ابن الزكي الفاتحين المجاهدين الى المحافظة على ما أنجزوه

---

(١) الاسراء آية ١١١.

(٢) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣١، ٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٠، ١٣١.

(٣) الاخلاص الآيتان ٣، ٤.

(٤) النساء آية ١٧٢.

(٥) المائدة آية ١٧.

وانظر: الروضتين ٢/١١٠، وفيات الاعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣.

(٦) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٢.

(٧) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥.

من نعمة الفتح. ويبين لهم أن ذلك لا يكون إلا بالتمسك بالتقوى، والاعتصام بعروتها، فيقول: «.. فاحفظوا، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم»[1].

وعلى الرغم من الفتح العظيم، فإننا نجد الخطيب يحذر المجاهدين من البطر بالنصر، كما يحذر من اتباع الهوى، والوقوع في المعاصي، كما يبدو في قوله: «واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الردى، ورجوع القهقرى، والنكول عن العدا»[2]. ويحذرهم ثانية من الشعور بالبطر، والطغيان، والغرور بالنصر، فإن ذلك سيؤدي إلى التهلكة. ويبين أن النصر من عند الله، كما يبدو في قوله: «وإياكم أن يستزلكم الشيطان، وان يتداخلكم الطغيان، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلاد، لا والله ما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم»[2].

كما يحذرهم من أن يقترفوا كبيراً من مناهيه، وأن يأتوا عظيماً من معاصيه، فإذا فعلوا ذلك كانوا «كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان، فكان من الغاوين»[3].

★★★

يدعو الخطيب المسلمين الى الاستمرار في الجهاد، لتحرير ما بقي محتلاً من ديار الاسلام، وللقضاء على الغزاة المحتلين. وذلك واضح في تحذيره من الرجوع القهقرى، والتقاعس عن الجهاد. ويسترسل في دعوته تلك، ويصور الاحتلال غصة بل غصصاً في نفوس المسلمين، ذهب بعضها بتحرير بيت المقدس وغيره من ديار الاسلام، وبقي بعضها الآخر إلى أن تُحرر بقية البلدان المحتلة من ديار الاسلام. يقول مخاطباً المجاهدين: «.. وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغصة. وجاهدوا في الله

(١، ٢، ٣) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

حق جهاده، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه، إذ جعلكم من خير عباده»[1].

ويتابع الخطيب الحث على الجهاد، فيشيد به، ويتحدث عن فضائله، ويدعو إلى السير في طريقه للقضاء على العدو، وتخليص سائر ديار الاسلام المحتلة. وبذلك يستنهض همم المسلمين، ويستثير عزائمهم، كما يبدو في قوله: «والجهادَ، الجهادَ، فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم. انصروا الله ينصركم.. جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله. فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية»، إلى أن يقول: «واعلموا، رحمكم الله، ان هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها عزماتكم وجهزوها»[2]. وعليهم ألا ترهبهم كثرة الأعداء.

★★★

وفي الخطبة الثانية، يركز ابن الزكي على السلطان المجاهد صلاح الدين، فيدعو له بالبقاء، ويصوره مجاهداً في سبيل الاسلام والمسلمين، مدافعاً عن حرمات الله، فهو سيف الله القاطع، وشهابه اللامع، والمحامي عن دينه، والذاب عن حرمه. وهو بطل المسلمين الذي جمع كلمتهم، ووحد صفوفهم، وقادهم الى النصر، وقضى على العدو المحتل. وأعاد الاسلام تقام شعائره، بعد أن طهر البيت المقدس من رجس الأعداء وآثامهم. ويبدو ذلك واضحاً في قول ابن الزكي: «اللهم وأدم سلطاننا، عبدك الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك». وهو الملك الناصر جامع كلمة الايمان، صلاح الدين والدنيا، سلطان الاسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس[3].

ويكرر الخطيب الدعاء للسلطان المجاهد، فيدعو له أن تعم دولته البسيطة وأن تكون الملائكة راياته محيطة. ويسترسل في الدعاء فيقول: «.. وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه. اللهم أبق للاسلام مهجته، ووق للايمان حوزته، وانشر في

(١، ٢) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

(٣) كتاب الروضتين ٢/١١١، ١١٢، وفيات الأعيان ٤/٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٦

المغـارب والمشـارق دعوته»[1]. وتبدو هذه الدعوات متصلة اتصالاً وثيقاً بموضوع الخطبة.

إن الأوصاف التي يصف الخطيب صلاح الدين بها أوصاف حقيقية، تتطابق مع الحقيقة التاريخية، فقد كان صلاح الدين حقاً، هو الذي جمع كلمة الاسلام، وقضى سنوات طوالاً وهو يوحد أهله، وهو الذي قضى جل سني حياته مجاهداً، فطهر بيت المقدس، وغيره من ديار الاسلام. ويتصل بهـذا دعاء الخطيب للسلطان، وهو دعاء يتضمن التمنيات بأن تنتشر دولة المسلمين، في عهد صلاح الدين، في كل أنحاء الأرض، وأن تنتشر دعوته في المغارب، وأن تُفتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، ويدعو الخطيب الله أن يمكن صلاح الدين من القضاء على أعداء الدين جميعاً. وان يصلح به «أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك واكنافها»[2].

ويصـور ابن الـزكي السلطان المجـاهد صلاح الدين محيياً دولة أمير المؤمنين، فقد كان يعلن الولاء للخلافة العباسية. ولما فتح بيت المقدس أرسل الرسائل الى ديوان الخلافة في بغداد، مبشراً بفتحها.

ويختتم ابن الزكي خطبته هذه بالدعاء الى أن يثبت الله الملك فيه، وفي عقبـه، وفي بني أيوب عامة. ويشيد بالملوك الميامين. ويدعو لهم بالبقاء ليشدوا عضد صلاح الدين[3].

السمات الفنية:

يعبر ابن الزكي في خطبته هذه عن تجربة استمدها من واقع عاشه، فقد شهد فتح بيت المقدس مع صلاح الدين، كما تقدم. وهو بذلك ينقل إلينا تجربته التي عاشها، وهي تجربة يعبر فيها عما يحس به في نفسه، وقد كان صادقاً في تصويره الحدث المتمثل في الفتح القدسي العظيم، كان صادقاً صدقـاً موضـوعياً، وتـاريخياً، كمـا كان صادقـاً صدقـاً فنياً في التعبير عن إحسـاسـاتـه ومشـاعـره إزاء الحـدث العظيم، وفي التعبير عن إحساسات المسلمين ومشاعرهم إزاءه.

(١، ٢، ٣) كتاب الروضتين ٢/١١٢، وفيات الأعيان ٤/٢٣٥، ٢٣٦، شفاء القلوب/ ١٣٦، ١٣٧.

تقوم الخطبة على بناء فني يربط اجزاءها وأفكارها، في المقدمة، والعرض (الموضوع)، والخاتمة. وقد جاءت مقدمة هذه الخطبة ممهدة لأفكارها، معبرة عنها، متلائمة مع الحدث المتمثل في الفتح القدسي.

جرى الخطيب ابن الزكي في خطبته على افتتاحها بالتحميد، وهو ما كان الأدباء والخطباء يعدونه بداية لا بد منها. يذكر أبو القاسم الكلاعي، في القرن السادس الهجري، أن الخطبة «هي أول ما استفتح بالتحميد». وأنهم كانوا يستفتحون بحمد الله سبحانه في الخطب»، في الاستنفار، وفي كل أمر له بال، وفي غير ذلك مما ذكره، وليس له صلة بما نتحدث عنه هنا. ويذهب الكلاعي إلى أن الخطب عندهم كانت «أوكد ما اعتمد بالتحميد». وسموا الخطبة التي لا تستهل به «بتراء وقطعاء». ويستشهد في هذا المجال بقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يُبتدأ فيه بالحمد فهو أبتر». وروي: وهو أقطع[1].

والكلاعي المعاصر لابن الزكي، ينظر إلى ما قاله الجاحظ من قبل، فقد ذكر الجاحظ أن أهل البيان كانوا يسمون الخطبة التي لم تُبتدأ بالتحميد، وتُستفتح بالتمجيد «البتراء»[2].

وهكذا استهل ابن الزكي خطبته بالتحميد المناسب للمقام الذي تحدث فيه، كما تقدم. وبهذا جاءت خطبته متوافقة مع ما يذهب إليه النقاد منذ القديم.

ولم يقتصر ابن الزكي على الإطالة في التحميد، في مقدمة الخطبة، وفي موضوعها، فقد زينها كذلك بالتشهد، والحديث عن وحدانية الله، والصلاة على رسوله. وهذا مما يستحسن في الخطب. يذكر الجاحظ أن الخطبة التي لم تزين بالصلاة على الرسول توصف بالشوهاء. وتُوصف الخطبة التي لا تشهد فيها بأنها كاليد الجذماء[3]. وبهذا نهج ابن الزكي في خطبته النهج الذي نهجه خطباء من قبله.

---

(١) أحكام صيغة الكلام/ ٥٩، ١٦٦، ١٦٧.

(٢) البيان والتبيين ٢/٦، وانظر: ٧٣

(٣) نفسه ٢/٦.

لقد اختيرت الآيات التي اقتبسها الخطيب في أول خطبته اختياراً مناسباً، إذ كانت «ذات معان متوائمة مع موضوع الخطبة، لتكون استهلالاً لها، ومدخلاً سهلاً إلى النفوس لما يريد الخطيب أن يصبه في الآذان»[1].

وقد جاءت المقدمة مرتبطة بالموضوع ارتباطاً وثيقاً. ويخاطب ابن الزكي المصلين المجاهدين بقوله: «أيها الناس» ليدخل بعدها في موضوع الخطبة، وهو موضوع عظيم يهم المسلمين في مختلف ديارهم. وقد فُصل القول فيه فيما تقدم. وفيه برزت صورة بيت المقدس، والجهاد، والمجاهدين. وهي محاور عديدة تتفرع من محور رئيسي هو الفتح القدسي. وهذا يدعو إلى القول بوحدة الموضوع في هذه الخطبة، فالحديث عن الجهاد، والمجاهدين والعدو المهزوم، هو حديث عن الفتح ذاته، والآثار الناجمة عنه.

وتضاف الى وحدة الموضوع هذه، وحدة المشاعر والأحاسيس التي يعبر عنها.

وجاءت خاتمة هذه الخطبة مرتبطه بموضوعها، متناسبة معه، مؤثرة، موجزة. وتتضمن دعوة إلى الاستمرار في الجهاد. وهي دعوة مستمدة من القرآن الكريم الذي اقتبس منه آيات مناسبة للمقام، ومستمدة من الواقع الذي يصوره[2]. وكذلك جاءت خاتمة الخطبة الثانية متوائمة مع مضمونها الذي يقوم على تمجيد الفاتح، والاشادة به. ولهذا نجد الخاتمة تتمثل في الدعاء للفاتح، كما يبدو في قوله: «اللهم كماأجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الايام، وتتخلد على مر الشهور والأعوام، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار المتقين، وأجب دعاءه في قوله: رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»[3].

★★★

(١) البرهان في وجوه البيان ٢/١٥٣.

(٢) الادب في العصر الايوبي/ ١٧٨.

(٣) انظر: الروضتين ٢/١١١.

وإذ يتناول ابن الزكي في خطبته هذه موضوع الفتح والجهاد، فقد كان أسلوبه يتسم بالقوة والجزالة، فالأسلوب يتأثر بالمعاني التي يعرض لها الخطيب.

يعبر ابن الزكي عن الأفكار والمعاني التي وردت في خطبته بأسلوب يتسم بالوضوح، والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني، والابتعاد عن استخدام الغريب من الألفاظ، واستخدام ألفاظ ومصطلحات إسلامية، إضافة الى بعض ألفاظ ومصطلحات نصرانية اقتضاها المقام. كما يتسم أسلوبه فيها بالتقريرية والمباشرة.

يشيد العماد الأصفهاني بابن الزكي الخطيب في أسلوبه، إذ نجده يصف أسلوبه بالفصاحة والبلاغة، وانه أعطى الألفاظ حقها، كما أعطى المعاني حقها. وقد «أدت المعاني الشريفة ألفاظه»، و«هو لنشر المعاني أضم خطيب له بنشر المعاني أضمخ طيب» كما يقول[1]. وبمثل ذلك يصفه أبو شامة المقدسي، إذ يذكر أن ابن الزكي أودع خطبته سر بلاغته وفصاحته، فكانت «يد الفصاحة فيها طولى»[2]. ويصف الصفدي تلك الخطبة بالخطبة البليغة[3]

★★★

ويبدو أسلوب ابن الزكي في خطبته متأثراً تأثراً جلياً بالقرآن الكريم، بالاقتباس منه، أو بنثر آيات منه بين تضاعيف خطبته، أو باستلهام ما جاء فيه، في حديث عن الفتح القدسي، وفضائل بيت المقدس، والجهاد، والفاتح، وغيرها مما تحدث عنه، وقد جاء ذلك كله ملائماً لما عرض له الخطيب.

ونشير في هذا المجال إلى آيات بينات عديدة اقتبسها الخطيب، واستهل بها خطبته، وقد تقدم ذكر تلك الآيات في التحميد[4].

كما يبدو الخطيب متأثراً بالحديث الشريف، لاسيما في حديثه عن قدسية بيت المقدس وفضائله.

---

(١) الفتح القدسي/ ١٣٩، ١٤٧، كتاب الروضتين ٢/١٠٨، ١٠٩.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٠.

(٣) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

(٤) الروضتين ٢/١١٠ (تقدم تخريج الآيات)، وانظر ص ١٨ من هذا البحث.

ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا المقام، أن الأدباء والنقاد كانوا يستحسنون أن توشح الخطبة بايات بينات من القران الكريم. يذكر الجاحظ أنهم «كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، آي من القرآن الكريم، فإن ذلك مما يورث البهاء، والوقار، والرقة، وسلس الموقع»[1].

ويذهب الكلاعي إلى أن ذلك من «أنجح ما ضمنه المرتجل، وأرجح ما استعان به المحتفل، لأنه الموعظة الجسنة، والحجة البالغة، والحكمة الباهرة، والهادي إلى الرشاد، والمنجي من الضلال»[2]

★★★

ولدى النظر في هذه الخطبة نجد أن الخطيب يستلهم في حديثه بعض ما جاء في شعر أبي تمام الذي قاله في تصوير فتح عمورية، ذلك الفتح الذي أحرزه المسلمون بقيادة المعتصم، وفي تلك القصيدة يصور أبو تمام الفتح وآثاره، ويصور الفرحة به، وهي فرحة شارك فيها أهل الأرض، وأهل السماء، كما يبدو في قوله[3]:

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومن هذا نتبين مدى تأثر الخطيب ابن الزكي بالشاعر أبي تمام، في الألفاظ، والمعاني، والصور، في تضاعيف خطبته.

وتأثر ابن الزكي في خطبته هذه بابن نباتة الخطيب الذي عاش في عهد سيف الدولة، وأنشأ الكثير من خطب الجهاد. يذكر ابن الأثير أن خطب ابن نباتة كانت أحد عكازي ذلك الزمان. وقد كان التأثر بها كبيراً في أسلوبها المسجوع والموشح بالقرآن والحديث والامثال والحكم وغيرها[4]. غير أن

---

(١) البيان والتبيين ١/١١٨.
(٢) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٩.
(٣) ديوان ابي تمام ١/٤٥، ٤٦.
(٤) المثل السائر ١/٢٧٨، الوشي المرقوم/٦.

الكثير من خطب ابن نباتة جاءت قصيرة مختصرة[1].

يشير العماد إلى ابن نباتة الخطيب، في حديثه عن ابن الزكي، ولكنه يفضل ابن الزكي على ابن نباتة. كما يبدو في قوله: «.. وأين ابن نباتة من نباته»[2].

★★★

ويتسم أسلوب ابن الزكي في خطبته هذه باستخدام الصنعة اللفظية، وليس ذلك غريباً في القرن السادس الهجري، فقد كانت الصنعة آنذاك ظاهرة تعبر عن ذوق العصر، وقد أصبحت المقياس الذي تقاس به جودة الأعمال الأدبية. ولم تكن الصنعة ظاهرة جديدة في هذا القرن، فقد كانت شائعة منذ القرن الرابع الهجري، كما يبدو واضحاً في رسائل ابن العميد، ومقامات الهمذاني، وفصول أبي العلاء وغاياته، وغيرها.

ومن مظاهر استخدام ابن الزكي الفنون البديعية في خطبته، أنه التزم بالسجع، وذلك واضح في كل أجزاء الخطبة. وقد جاءت سجعاته فيها قصيرة، ذات رنين في الأسماع، بغية التأثير في المستمع.

يذكر ابن الأثير أن السجع «إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام»، ويرى أن الألفاظ المسجوعة تكون «حلوة، حارة، طنانة، رنانة، لا غثّةً باردة»[3]. ومثل هذا الذي يذهب إليه ابن الأثير هو ما نراه في خطبة ابن الزكي، ومن حيث الاعتدال والتساوي في مقاطع الكلام، ومن حيث ان الالفاظ المسجوعة فيها لم تأت غثة أو باردة. ويمكن القول: إن كل سجعة من السجعات المزدوجة في خطبة ابن الزكي تحمل معنى غير المعنى الذي نجده في السجعة التالية لها. ويتفق هذا النهج مع ما يذهب اليه ابن الأثير، فقد بين أنه يحسن «أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها»[4].

ويستخدم ابن الزكي فنوناً بديعية أخرى في خطبته، مثل الطباق،

(١) انظر: ديوان خطب ابن نباته، ادب الحروب الصليبية/ ٢١٥.
(٢) انظر الروضتين ٢/١٠٩.
(٣) المثل السائر ١/٢٧٥، ٢٧٦.
(٤) نفسه ١/٢٧٨.

والمقابلة، والجناس، والتقسيم، وغيرها. وذلك كله واضح من النظرة الأولى في هذه الخطبة.

وتجدر الاشارة الى ان استخدام ابن الزكي هذه الفنون البديعية أضفى لوناً من الايقاع الموسيقي على النص، فقد جاءت السجعات فيها كالقوافي، ولاسيما انها جاءت قوية سريعة متلاحقة.ويقال مثل هذا القول في الجناس والتقسيم.

وقد يحسن في هذا المقام أن يُشار إلى ما يذهب إليه ابن الأثير في موقفه من الخطب النباتية، فقد ذكر أنه قد تصفح تلك الخطب، فوجد أكثر السجع فيها على الأسلوب الذي ينكره. وهو يرى أن الكلام المسجوع يحتاج الى أربع مسائل، وهي: اختيار مفردات الألفاظ، واختيار التركيب، ومجيء الألفاظ في الكلام المسجوع تابعة للمعنى، دون أن يكون المعنى تابعاً للفظ، ومجيء كل واحدة من الفقْرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي تدل عليه أختها[1].

وإذا كان ابن الأثير قد أنكر أسلوب ابن نباتة في السجع، وولعه به، وإكثاره استخدام الترصيع، كما أنكر استخدامه ألفاظاً لا يسوغ استخدامها في النثر، مثل قوله: «اقْمَطَرَّ وبالها، واشمَخرَّ نَكالها»، مبيناً أن ذلك لا يسوغ في الخطب[2]. فما الرأي فيما يذهب إليه ابن الزكي، في هذا المضمار؟

اعتمد ابن الزكي السجع في خطبته كما سبق أن بيّنا، ونجد لديه اقتباساً كثيراً، وترصيعاً احياناً. ولكننا لا نجده يطيل في السجع كما كان يفعل ابن نباتة، إذ تتراوح السجعات في خطبته بين السجعتين، والعشر، بينما نجد السجعات في بعض خطب ابن نباته تبلغ العشرين[3]. يضاف إلى هذا أننا نجد الفقرات المسجوعة في خطبة ابن الزكي، أكثر وقعاً في النفس، وأخف على السمع. إن أحسن السجع في نظر ابن الأثير، ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين تقريباً. ومن ذلك ما ورد في خطبة ابن الزكي: «.. المعجزات

(١) المثل السائر ١/٢٧٨، ٢٧٩، وانظر: ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) نفسه ١/٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) انظر: ديوان خهطب ابن نباته، ادب الحروب الصليبية/ ٢١٩، ٢٢٠.

النبـوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية..»[1].
ومن السجع ما يكون «مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ، وأربعة، وخمسة، وكذلك الى العشرة. وما زاد على ذلك، فهو من السجع الطويل» كما يقول ابن الاثير[2].
ويفضل هذا اللون من السجع على السجع الطويل في نظر ابن الأثير مثلاً. ويعلل ذلك بأن هذا الضرب من السجع «أوعر مذهبا، وأبعد متناولاً ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً»[3]

---

(١) كتاب الروضتين ٢/١١١.

(٢، ٣) المثل السائر ١/٣٣٦.

«نص الخطبة»

قمت بتحقيق نص هذه الخطبة معتمداً على:

- الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ).
- وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي (٦٩٧هـ)
- مرآة الجنان لليافعي (٧٦٨هـ)
- شفاء القلوب لأحمد بن ابراهيم الحنبلي (٨٧٦هـ)

واعتمدت على نسخة مخطوطة من «عيون الروضتين» لأبي شامة المقدسي. كما اعتمدت على ثلاث نسخ من مخطوطة:

«إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي، شمس الدين السيوطي (٨٨٠هـ).

والنسخ هي:

- نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية ـ شريط رقم ٧٦.
- نسخة أخرى بالمركز، منسوبة خطأ إلى أحمد بن حجر الهيتمي ـ شريط رقم ٥٩٧.
- نسخة ثالثة بالمركز، منسوبة خطأ إلى ابن عبدالظاهر ـ شريط رقم ٤٠.

وقد حُققت نسخة من (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)، حققها د. أحمد رمضان أحمد. ولكن نص الخطبة جاء كثير التصحيف والتحريف (انظر: إتحاف الأخصا ١/٢٦٣ ـ ٢٧٠).

★★★

لما[1] رقي ابن الزكي المنبر استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال[2]:

---

(١) انظر: الروضتين ٢/١١٠ ـ ١١٢، عيون الروضتين/ ٢٤٣ ـ ٢٥٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣٠ ـ ٢٣٦، مفرج الكروب ٢/٢١٨ ـ ٢٢٧، مرآة الجنان/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧، شفاء القلوب/ ١٣٠ ـ ١٣٨، اتحاف الأخصا (ط)/ ٢٦٣ ـ ٢٧٠، اتحاف الأخصا (خ)، ومنه ثلاث نسخ بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، وهي ذوات الأرقام: ٤٠، ٧٦، ٥٩٧.

(٢) من وفيات الأعيان.

«فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمدُ لله ربِّ العالمين»[1].

«الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين»[2].

«الحمد لله الذي خلَقَ السَّمواتِ والأرضَ، وجعلَ الظُّلماتِ والنورَ، ثُمَّ الذين كفروا بربِّهم يَعْدِلون»[3].

«وقُلِ الحمدُ لله الذي لم يتخذْ ولداً، ولم يكُنْ له شريكٌ في المُلْكِ، ولم يكُنْ له وليٌّ من الذُّلِّ، وكَبِّرْهُ تكبيراً»[4].

«الحمدُ لله الذي أنزلَ على عَبْدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ له عِوجاً، قيّماً لينذرَ بأساً شديداً من لَدُنْه، ويُبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً، ويُنْذرَ الذين قالوا اتّخذ الله ولداً، ما لهم به من عِلْمٍ ولا لآبائهم، كَبُرتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذبا»[5].

«قل[6] الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آلله خيرٌ أمّا يُشركون[7].

«الحمدُ لله الذي له ما في السَّموات وما في الارض، وله الحمدُ في الآخرةِ، وهو الحكيمُ الخبيرُ، يَعْلمُ ما يَلِجُ في الأرْض، وما يَخْرجُ منها، وما يَنْزلُ من السَّماءِ، وما يَعْرجُ فيها، وهو الرحيمُ الغفورُ»[8].

«الحمدُ لله فاطر السَّمواتِ والأرضِ، جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً»[9].

ثم شرع في الخطبة فقال[10]:

---

(١) الأنعام آية ٤٥.

(٢) الفاتحة الآيات ١ ـ ٣.

(٣) الأنعام آية ١.

(٤) الإسراء آية ١١١.

(٥) الكهف: الآيات ١ ـ ٥.

(٦) في الوفيات، ومرآة الجنان: وقل

(٧) النمل آية ٥٩. وانظر: مفرج الكروب.

(٨) سبأ: الآيتان ١، ٢. وانظر: مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٩) فاطر: الآية ١. وانظر: مفرج الكروب، وشفاء القلوب. ورد في مرآة الجنان: وكان قصده ان يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم. وزاد إتحاف الأخصا: «فخشي من الإطالة، وقال.

(١٠) في الروضتين: والخطبة هي.

«الحمدُ لله مُعزِّ الاسلام[1] بنصْره، ومُذِلِّ الشِّرْكِ بقهْره، ومُصرِّفِ الأمورِ[2] بأمْره، ومُديمِ النِّعمِ بشكْره، ومُسْتدرجِ الكافرين[3] بمَكره، الذي قَدَّرَ الأيَّامَ دُولاً بعدْلِه، وجعلَ العاقبةَ للمتقين بفَضْلِه، وأفاءَ[4] على عبادِهِ من ظِلِّه[5]، وأظهرَ دينَهُ على الدِّين كُلِّه. القاهر فوقَ عبادِه فلا يُمَانَعُ، والظاهر على خليقته[6] فلا يُنازَعُ، والآمر بما يشاءُ[7] فلا يُراجَعُ، والحاكم بما يريدُ فلا يُدافَعُ.

أحْمَدُهُ على إظفارِهِ وإظهارِهِ، وإعزازِهِ لأوليائِهِ[8]، ونصْرِهِ لأنْصارِهِ، وتطهيرِ[9] بيتِهِ[10] المُقدَّسِ من أدْناسِ الشِّرْكِ وأوْضارِهِ[11]، حمْدَ من استشْعرَ الحَمْدَ باطنَ سِرِّهِ، وظاهرَ جِهارِهِ[12].

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ له [الواحدُ][13] الأحدُ [الفردُ][14] الصَّمدُ، الذي «لم يَلِدْ ولم يُولدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ»[15]. شهادةَ مَنْ طهَّرَ[16] بالتوحيدِ قلْبَهُ، وأرْضى به ربَّهُ، وأشْهدُ أن [سيدنا][17] محمداً، صلى الله عليه

---

(١) في شفاء القلوب: الدين.

(٢) ورد في مرآة الجنان بعد (الأمور): جماعة أدباًكثيراً، واتفقوا على فضله ومعرفته. وهو ليس من الخطبة.

(٣) في عيون الروضتين، والوفيات، وإتحاف الأخصا (رقم ٤٠): الكفار.

(٤) في الوفيات ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: وافاض.

(٥) في إتحاف الأخصا (ط): فضله.

(٦) في إتحاف الأخصا (رقم ٤٠): خلقه.

(٧) في مرآة الجنان، وإتحاف الأخصا رقم ٥٩٧: شا.

(٨) في شفاء القلوب: لأولياء الله.

(٩) في مرآة الجنان، وشفاء القلوب: وتطهيره.

(١٠) في الإتحاف (ط): لبيته.

(١١) في شفاء القلوب، والإتحاف (ط): وأوتاره.

(١٢) في مفرج الكروب: جهاده. وفي شفاء القلوب والاتحاف (ط): اظهاره.

(١٣) من مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(١٤) من مفرج الكروب.

(١٥) الاخلاص: الآيتان ٣، ٤.

(١٦) في مرآة الجنان: أظهر.

(١٧) من شفاء القلوب.

وسلم، عبده ورسوله، رافع[1] الشَّك[2]، ودافع الشِّرْكِ، وداحِض[3] الإفك، الذي أسْرَى بعبده[4] ليلاً من المسجدِ الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السمواتِ العُلى، إلى سِدْرةِ المُنْتهَى، عِنْدهَا جنَّةُ المأوَى، إذْ يَغْشى السِّدْرَة ما يَغْشى. ما زاغَ البصر وما طغى»[5].

صلَّى الله عليه [وسلم][6]، وعلَى خليفتِهِ أبي بكرِ الصِّديقِ، السابقِ إلى الايمانِ، وعلى أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب، أول من رفَعَ عن هذا البيتِ المُقدَّس[7] شعارَ الصُّلْبان، وعلى أميرِ المؤمنين عثمان [بن عفان][8] ذي النُّورَيْن، جامعِ القرآن، وعلى أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالب [مُبيد الكفر][9] ومُزلزلِ الشِّركِ، ومُكسِّرِ الأوْثان، وعلى آله وأصحابه[10] والتابعين لهم بإحسان. [وسلم][11].

أيُّها[12] الناسُ: أبشروا برضوانِ الله[13] الذي هو الغايةُ القُصوى، والدرَجة العُلْيا، لِمَا يَسَّرهُ[14] الله على أيْديكُم[15] من استردادِ هذه الضالةِ، من الأمةِ الضالّةِ، وردِّها إلى مَقرِّها من الإسلام، بعد ابتذالِها في[16] أيْدي المشركين

---

(١) في شفاء القلوب: دافع.

(٢) رافع الشك «ليست في المفرج، ولا في الشفاء».

(٣) في عيون الروضتين: ومدحض الشرك، وراحض الإفك. في شفاء القلوب، والإتحاف (ط): وقامع.

(٤) في عيون الروضتين، والوفيات، ومرآة الجنان، والإتحاف (ط): به.

(٥) النجم: الآيات: ١٤، ١٥، ١٦. وانظر: الإتحاف (ط) ١/ ٢٦٤.

(٦) من الإتحاف.

(٧) من الإتحاف (ط) ١/ ٢٦٤.

(٨) من مفرج الكروب، ومرآة الجنان، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(٩) من شفاء القلوب، والإتحاف.

(١٠) في وفيات الأعيان: صحبه.

(١١) من الإتحاف (رقم ٧٦).

(١٢) في شفاء القلوب: يا أيُّها.

(١٣) ورد في الإتحاف (رقم ٧٦) لفظة (الاكبر) بعد الله.

(١٤) في الإتحاف: فاشكروه على ما يسر.

(١٥) في شفاء القلوب: (الله) عليكم.

(١٦) في عيون الروضتين: الى.

قريباً من مائةِ عامٍ ، وتطهير هذا البيتِ الذي أذن الله أنْ يُرْفَع ، ويذكرَ فيه[1] اسمُهُ ، وإماطةِ الشِّركِ عن طُرُقِه[2] ، بعد أن امتدَّ عليها[3] رِواقُهُ ، واستقرَّ[4] فيها رَسْمُهُ ، ورفع قواعده بالتوحيد[5] ، فانه بُني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد ،[6] وإنَّه[7] أسِّس على التقوى[8] من خَلْفِهِ ومن بيْن يدَيْهِ . وهو[9] موطنُ أبيكم ابراهيم ، ومعراجُ نبيكم محمد عليه السلام[10] . وقبلتكم التي كُنْتم تُصَلُّون إليها في ابتداء الإسلام ، وهومَقَرُّ الأنبياء ، ومقصدُ[11] الأولياء ، ومدفن[12] الرُّسُل ، ومهبطُ الوحي ، ومنزلُ[13] تنزُّلِ[14] الأمرِ والنَّهْي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في[15] الأرض المُقَدَّسةِ التي ذكرها الله [تعالى][16] في كتابه المبين . وهو المسجد [الأقصى][1] الذي صلى فيه

---

(١) في الاتحاف : فيها .

(٢) في شفاء القلوب : طريقه .

(٣) في شفاء القلوب : عليه .

(٤) في الروضتين : واستعمر

وفي الاتحاف : واستمر ، وهو تصحيف .

(٥) في شفاء القلوب : على التوحيد .

(٦) من وفيات الأعيان .

(٧) في عيون الروضتين : وتشييد بنيانه بالتمجيد فانه ، وفي وفيات الأعيان : فإنه .

(٨) في الروضتين : وبالتقوى فانه اسس على التقوى .

وفي مفرج الكروب : بالتقوى .

(٩) في الروضتين : وعيون الروضتين ، ووفيات الأعيان : فهو .

(١٠) في عيون الروضتين : عليها الصلاة والسلام ، وفي مفرج الكروب : عليهما .

في مرآة الجنان : عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

في الإتحاف (ط) : صلى الله عليه وسلم .

في الإتحاف (رقم ٧٦) : وعليه أفضل الصلاة والتسليم .

(١١) في مرآة الجنان : ومقدس .

في الإتحاف (ط) : ومقعد .

(١٢) في مفرج الكروب : ومَقَر .

(١٣) في مرآة الجنان ، والإتحاف (خ . و . ط) : ومدفن .

(١٤) في عيون الروضتين ، ووفيات الأعيان ، ومرآة الجنان : به ينزل . وفي شفاء القلوب : ينزل فيه .

(١٥) في عيون الروضتين ، عين .

(١٦) من عيون الروضتين ، والاتحاف .

رسولُ الله[2] ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالملائكة[3] المُقَرَّبين، وهو البلدُ الذي بعثَ الله إليه[4] عبدَهُ ورسولهُ وكلمتهُ التي ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذي شَرَّفَهُ الله برسالتِهِ، وكَرَّمَهُ بنُبُوَّتِه[5]، ولم يُزَحْزِحْهُ عن رُتبةِ عُبوديته، فقال تَعالى: «لن يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله، ولا الملائكةُ المُقَرَّبون»[6] وقال: «لقد كفر الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريم[7]. كذبَ العادلون بالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً[8]. «ما اتَّخذَ الله من ولدٍ، وما كان معه من إله إذاً لذهبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ، ولعلا[9] بعضهم على بعض سبحانَ الله عما يصفون. عالم الغيْبِ والشَّهادةِ، فتعالى عَمَّا يُشْرِكون»[10].

وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين، لا تُشَدُّ الرِّحالُ بعدَ المسْجدَيْن إلاّ اليه، ولا تُعْقَدُ[11] الخناصِرُ[12] بعد الموطنين إلاّ عليه[13]، ولولا[14] انكم ممن اختارهُ الله من عباده، واصْطَفَادُ من سُكّان بلاده، لما

---

(١) من وفيات الأعيان، والاتحاف.

(٢) في الاتحاف (ط): نبي رب العالمين.

(٣) في عيون الروضتين: بالانبياء والمرسلين، وفي الإتحاف (ط): بالنبيين، والمرسلين، والملائكة.

(٤) في شفاء القلوب: منه.

(٥) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومرآة الجنان: «كرّمه برسالته، وشرّفه بنبوته». في الاتحاف (نسخة رقم ٥٩٧): أكرمه.

(٦) النساء آية ١٧٢.

ورد الاستشهاد به في الروضتين، وورد بعد الآية في وفيات الاعيان، ومرآة الجنان: «ولا الملائكة المقربون»، ولم ترد في المصادر الاخرى.

(٧) المائدة الآية رقم ٧٢.

(٨) من وفيات الأعيان، والإتحاف.

(٩) وردت في الإتحاف: ولعلى.

(١٠) المؤمنون آية رقم ٩١.

(ورد الاستشهاد بهذه الآية في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، والإتحاف).

(١١) في الروضتين: تعتقد.

(١٢) في الإتحاف (ط): الحناصر

(علق المحقق في الحاشية، فقال: لعلها الخناصر. وكان عليه أن يضعها في المتن).

(١٣) أثبت في مرآة الجنان الى هنا، ثم قال: «وهذا نحو من ثلث خطبته، رمت الاقتصار ايثارا للاختصار.

(١٤) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: فلولا.

خَصَّكم بهـذه الفضيلة التي [1] لا يُجـاريكم فيها مُجارٍ[2]، ولا يُباريكم في شرفها مُبارٍ[3]، فطوبى لكم من جيش ظهرتْ على أيديكم المعجزاتُ النبويّة، والوقعاتُ[4] البدْريّةُ، والعزماتُ[5] الصدّيقيّة، والفتوح[6] العُمريّة. والجيوشُ العثمانيّةُ، والفتكاتُ العلويّة، جددتم للاسلام أيام القادسية، والوقعات[7] اليرموكية، والمنازلاتِ الخيْبَرية، والهَجَماتِ[8] الخالدية، فَجَزَاكُمُ[9] الله عن نَبيِّه محمد[10]، صلى الله عليه وسلَّم، أفضلَ الجزاءِ، وشكرَ لكم ما بَذَلْتموه من مُهَجكُم في مقارعة الاعداء، وتقبَّل [منا][11] ومنكم ما تقرَّبْتُم به إليه من مهراقِ[12] الدِّماء، وأثابكم الجنة فهي[13] دارُ السُّعداء، فاقدروا، رحمكم الله، هذه النعمـة حقّ قدْرهـا، وقـوموا لله تعالى بواجب شكرها[14]، فله[تعالى][15] النعمة[16] عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فُتِّحتْ له أبوابُ السَّماءِ، وتبلَّجتْ[17] بأنواره وجوهُ الظَّلْماء،

---

(١) في الإتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠): الذي، وهو غير صحيح.

(٢) في الاتحاف (ط) و (خ) نسخة رقم ٥٩٧: مجاري، وهو غير صحيح.

(٣) في الاتحاف (ط) و(خ) نسخة رقم ٥٩٧: مباري، وهو غير صحيح.

(٤) في وفيات الأعيان: والواقعات.

(٥) في الاتحاف (ط): والضربات.

ولكنها وردت في الاتحاف (خ نسخة رقم ٧٦) كما وردت في المتن.

(٦) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: والفتوحات.

(٧) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: والملاحم.

(٨) في الاتحاف (ط): والحملات.

(٩) في الروضتين: فجازاكم.

(١٠) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: محمد نبيه. وجملة «صلى الله عليه وسلم» ليست في المفرج، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(١١) من مفرج الكروب.

(١٢) في الاتحاف (ط): إهراق.

(١٣) في شفاء القلوب: وهي.

(١٤) في شفاء القلوب: ذكرها.

(١٥) من وفيات الاعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(١٦) في عيون الروضتين، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): المنة.

(١٧) في شفاء القلوب: وسلخت، وهو تصحيف.

في الاتحاف (ط): وبلجت.

وابتهج به الملائكةُ المُقرَّبون، وقَرَّ به عيناً الانبياءُ والمرسلون[1]، فماذا [له][2] عليكم من النعمةِ بأنْ جعلكمُ الجيشَ الذي يُفْتَحُ عليه[3] البيتُ المُقدَّسُ في آخرِ الزمانِ، والجند الذي تقوم[4] بسيوفهم بعد فترة من النبوة[5] أعلامُ الايمان، فيوشك أنْ يفتح الله على ايديكم أمثاله[6] وأن تكونَ التهاني به بين أهِل[7] الخضراء أكثر من التهاني به بين أهلِ[8] الغبراءِ.

أليسَ هو[9] البيتُ الذي ذكره الله [تعالى] في كتابه، ونَصَّ عليه في [محكمِ][10] خطابه؟[11] فقال تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» الآية[12].

أليس هو البيتُ[13] الذي عَظَّمَتْه المِلَلُ[14]، وأثنتْ عليه الرُّسُلُ، وتليتْ فيه الكتب الاربعة المنزلة[15] من إلهكم[16]، عزَّ وَجَلَّ[17]؟

---

(١) في عيون الروضتين: وقرَّ عيناً به، وفي شفاء القلوب: وقرّت به اعين الانبياء والمرسلين. في الاتحاف (ط): وقرب اعين الانبياء المرسلين.

(٢) من شفاء القلوب.

(٣) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): على يديه.

(٤) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: يقوم.

(٥) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: الرسل.

(٦) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(٧) في عيون الروضتين ووفيات الاعيان، والاتحاف: لأهل.

(٨) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: لأهل.

(٩) سقطت الكلمتان (أليس هو) من الاتحاف (ط).

(١٠) من الاتحاف.

(١١) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف.

(١٢) ورد بعد «خطابه» في الإتحاف: ومنحكم به منته وطوله.

(١٣) الاسراء آية ١.

(١٤) ورد في الاتحاف (ط): وهو، بدلاً من «أليس هو البيت».

(١٥) في الروضتين، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: الملوك.

(١٦) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، وشفاء القلوب.

(١٧) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان: الله

(١٨) في الإتحاف (ط): تعالى.

أليسَ هو البيتُ الذي أمْسكَ الله، عز وجل[1] فيه[2] الشمس[3] على يوشعَ لأجله أنْ تَغْرُبَ[4]، وباعد بين خطواتِها[5] ليتيسر[6] فتْحُهُ ويَقْرُب؟.

أليسَ هو البيتُ الـذي أمَـرَ الله [عـزّ وجـلّ][7] موسى أن يأمـرَ قوْمـهُ باستنقاذه[8]، فلم يُجبه إلاّ رَجُلان، وغضبَ عليهم لأجله[9]، فألقاهم[10] في التيه عقوبةً العصيان[11]؟.

فاحمدوا[12] الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد[13] عنه بنو إسرائيل، وقد فَضَّلَهُم[14] على العالمين، ووفَّقكُم لما خُذِل فيه من[15] كان قبْلكُم من الأُمم الماضين[16]، وجمعَ لأجله كلمتكم، وكانت[17] شَتَّى، وأغناكم بما أمْضَتْهُ[18]

---

(١) في وفيات الاعيان: تعالى.

سقطت العبارة «أليس هو البيت الذي امسك الله عز وجل»، من الإتحاف (ط).

(٢) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: لاجله.

(٣) ورد في الاتحاف (ط) بعد لفظة الشمس: «ردت على يوشع بن نوف بن يعرب». وفيه تصحيف

(٤) في الإتحاف (ط): (بن يعرب) بدلاً من «ان تغرب»، وهو تصحيف.

(٥) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠) و(ط): جوانبها.

(٦) في الاتحاف (ط): ليتبين.

(٧) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف.

وورد بدلاً منها لفظة «تعالى» في مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٨) في عيون الروضتين: باستيقاده،وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠) و(ط): باستيطانه.

(٩) في مفرج الكروب: من اجله.

(١٠) في مفرج الكروب: وألقاهم.

(١١) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: العصيان.

(١٢) في الاتحاف (ط): فاحمد

(١٣) في وفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف: نكلت.

(١٤) في وفيات الاعيان، والاتحاف: فضلت.

في عيون الروضتين، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): فضلوا.

(١٥) في عيون الروضتين: أمم.

(١٦) في وفيات الاعيان: لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الامم الماضيين.

في مفرج الكروب: لما خذل..الماضية.

في شفاء القلوب: لما خذل عنه من كان قبلكم.

في الاتحاف (ط): خذل فيه امما كانت قبلكم من الامم الماضين.

(١٧) في عيون الروضتين: وكان.

(١٨) في الإتحاف (ط): امقبه (هكذا). يقول المحقق في الحاشية انها غير واضحة.

(كان) و(قد) عن [1] (سوف) [2] و(حتى) [3]

فَلْيَهْنِكُم [4] أنَّ الله [تعالى] [5] قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أنْ كنتم جنوداً لأهويتكم [6] جُنْده، وشكَرَكُم [7] الملائكة المنزلون على ما أهْديتم إلى هذا [8] البيت من طب التوحيدِ، ونشر التقديس والتحميد [9]، وما أمطتم عن طُرُقهم فيه [10] من أذى الشِّرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر [11] الخبيث، فالآن [12] يستغفر لكم [13] أملاك السمواتِ، وتُصلّى عليكم الصلوات المباركاتِ، فاحفظوا [14]، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة [15] عندكم، بتقوى الله [تعالى] [16] التي [17] من تمسَّك بها سلِمَ، ومن

---

(١) في الاتحاف (ط): عي (هكذا). يقول المحقق في الحاشية: لا معنى لهذه الكلمات.

(٢) سقطت لفظة «سوف» من الإتحاف (ط).

(٣) سقطت من شفاء القلوب. ووردت العبارة مضطربة، وقد وردت هكذا: «كان وعن وسوف وحتى».

(٤) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠) و(ط): وليهنكم.

(٥) من الاتحاف.

(٦) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠): جنود الاهوية. وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): جنود الاهواء. وفي الاتحاف (ط): «جنوداً لا يستهويه. وفيه تصحيف».

(٧) في وفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: وشكر لكم.
في الاتحاف (ط): وشكرتكم.

(٨) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: لهذا.

(٩) في وفيات الأعيان: والتمجيد. وفي شفاء القلوب: والتمجيد، والتحميد.

(١٠) في شفاء القلوب: طرقه. وقد سقطت لفظة «فيه». وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠): طريقه.

(١١) في مفرج الكروب. وشفاء القلوب: الفاسد.

(١٢) في مفرج الكروب: فهو الآن.
وفي شفاء القلوب، والإتحاف: والآن.

(١٣) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف: تستغفر.

(١٤) في شفاء القلوب: واحفظوا.

(١٥) في شفاء القلوب: نعمة الله.

(١٦) من شفاء القلوب.

(١٧) في الاتحاف (ط): الذي

اعتصمَ بعُرْوَتِها[1] نجا وعُصِمَ[2]، واحذروا من اتباع الهوى، ومواقعه[3] الرَّدى، ورجوع القهقرى، والنكول[4] عن العِدا، وخُذُوا[5] في انتهاز الفرصةِ، وإزالة ما بَقِي من الغُصَّة[6]، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وبيعوا عبادَ الله أنفسكم[7] في رِضاه إذ[8] جعلكم من خير[9] عباده، وإياكم[10] أنْ يستزلكم[11] الشيطان[12]، وأنْ يتداخلكُم الطغيان[13]، فيخيل لكم[14] ان هذا النصر بسيوفكم الحِداد، وبخيولكم[15] الجياد، وبجلادكم[16] في موطن[17] الجلاد، والله[18] ما النصرُ إلاّ من عند الله، إن الله عزيزٌ حكيم[19].

---

(١) في شفاء القلوب: بعروقها. وهو تصحيف.
في الاتحاف (ط): بغزوتها. وهو تصحيف.
(٢) في الاتحاف (ط): واعتصم.
(٣) في الروضتين وشفاء القلوب: وموافقة.
في مفرج الكروب: ومواقف.
(٤) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): والتولي.
في الاتحاف (ط) : والتوالي العدى
(٥) في الاتحاف (ط): وجدوا.

(٦) في الاتحاف (ط): والقصة. وهو تصحيف.
(٧) في مفرج الكروب، والاتحاف (خ ـ نسخة ٥٩٧): أنفسكم عبدالله.
(٨) في شفاء القلوب: الذي.
(٩) سقطت لفظة (خير) من شفاء القلوب.
(١٠) في الروضتين: وإيا.
(١١) في الاتحاف (ط): يشتريكم.
(١٢) في عيون الروضتين: أو

(١٣) في الاتحاف (ط): (وأن) يدخلكم الشيطان.
(١٤) في مفرج الكروب: إليكم.
(١٥) في وفيات الأعيان، والاتحاف (ط): وخيولكم.
(١٦) في الاتحاف (ط): وبجلاءكم. وهو تصحيف.
(١٧) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: موضع.
(١٨) في شفاء القلوب: سقطت لفظة (لا)
في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط): لا والله العظيم.
(١٩)) في الاتحاف (ط): العزيز الحكيم.

واحذروا[1] عبادَ الله، بعد أنْ شرّفكم بهذا الفتح الجليل، والمنْح الجزيل، وخَصّكم[2] بهذا النصر[3] المبين، [وأعْلَق أيديكم بحبْله المتين][4]، أن تقترفوا كبيرا[5] من مناهيه[6]، وإن تأتوا عظيماً من معاصيه، فتكونوا كالتي نقضتْ غَزْلها من بعد قوةٍ أنْكاثاً، والذي[7] آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. والجهادَ الجهادَ، فهو من[8] أفضلِ عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا[9] الله ينصركم، [احفظوا الله يحفظكم][10] اذكروا[11] الله يَذْكُرْكُم، اشكروا[12] الله يَزِدْكُم[13] ويشكركم، جدُّوا في[14] حسم الداءِ، وقطع[15] شأفة الاعداء، وتطهير[16] بقية الأرض [من هذه الأنجاس][17] التي[18] أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع[19] الكفر، واجتثوا

---

(١) في عيون الروضتين، و وفيات الأعيان. فاحذروا.

(٢) في شفاء القلوب: وحكم.

(٣) في عيون الروضتين: بنوره، ووفيات الأعيان، والاتحاف (ط): بنصره.
في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: النصر.

(٤) هذه العبارة «واعلق.. المتين»: سقطت من الاتحاف (ط).

(٥) في عيون الروضتين، و مفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): كثيرا.

(٦) في الاتحاف (ط): نواهيه.

(٧) في عيون الروضتين، و وفيات الاعيان، والاتحاف (ط): وكالذي. وفي شفاء القلوب: أو كالذي.

(٨) سقطت من شفاء القلوب، والاتحاف (ط).

(٩) في شفاء القلوب: فانصروا. وفي الاتحاف (ط): انصرفوا. وهو تصحيف.

(١٠) من وفيات الأعيان.

(١١) في شفاء القلوب: واذكروا.
في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): واذكروه.

(١٢) في شفاء القلوب: واشكروا.
في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): واشكروه.

(١٣) سقطت من شفاء القلوب.

(١٤) في عيون الروضتين: الى، وفي شفاء القلوب: فخذوا.

(١٥) في وفيات الاعيان، والاتحاف (ط): وقلع

(١٦) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان وشفاء القلوب: وطهروا. وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): وطهر.

(١٧) من عيون الروضتين، و وفيات الاعيان، والاتحاف (ط).

(١٨) في عيون الروضتين: الذي

(١٩) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): فروخ.

أصوله، فقد نادتْ[1] الأيام بالثارات[2] الإسلامية والملة المحمدية.

الله أكبر، فتح الله ونصر، غلب[3] الله وقهر، أذل[4] الله من كفر. واعلموا، رحمكم الله، أنّ هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسة فناجزوها[5]، [وغنيمة فحوزوها]، ومهمة[6] فاخرجوا لها[7] هممكم وأبرزوها، وسيروا اليها[8] [سرايا][9] عزماتكم[10] وجهزوها، فالأمورُ بأواخرها[11]، والمكاسب بذخائرها، فقد[12] أظفركم[13] الله [تعالى][14] بهذا العدو المخذول[15]، وهم مثلكم أو يزيدون[16]، فكيف[17] وقد أضحى في[18] قبالة الواحد منهم[19] منكم عشرون، وقد قال الله تعالى: «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكنْ منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون»[20]. أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار[21] بزواجره، وأيدنا

(١) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): تارت

(٢) في وفيات الأعيان: يالثارات.

(٣) في مفرج الكروب، والاتحاف (ط): وغلب.

(٤) في مفرج الكروب: وأذل، وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠) و(ط): أخذل.

(٥) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان.

(٦) العبارة «فناجزوها.. ومهمة» سقطت من الاتحاف (ط).

(٧) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: اليها.

(٨) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): النهار. وهو تصحيف.

(٩) من وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط).

(١٠) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧): عزمكم.

(١١) في الاتحاف (ط): فالسعادة بأمايرها.

(١٢) في الاتحاف (ط): وقد

(١٣) في الاتحاف (ط): ظفركم.

(١٤) من الاتحاف (ط).

(١٥) في الاتحاف: (ط): بهؤلاء الأعداء المخذولين.

(١٦) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: دون.

(١٧) في شفاء القلوب: وكيف.

(١٨) في شفاء القلوب: وفي.

(١٩) سقطت من شفاء القلوب، ومن الاتحاف (ط)

(٢٠) الأنفال آية ٦٥.
وورد في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط): «وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين».

(٢١) في الاتحاف (ط): والانزجار.

معشر[1] المسلمين بنصر من عنده. إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يَخْذُلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده.[2].

[إن[3] أشرف مقال يقال في مقام، وأنفذ سهام تمرق[4] عن قسيّ الكلام، وأمضى قول تحل[5] به الأفهام، كلام[6] الواحد الفرد العزيز العلام[7]. قال الله تعالى: «واذا قُرِىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»[8]. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأ أول سورة الحشر، ثم قال: آمركم وإياي بما أمرَ الله به من حسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قُبح المعصية فلا تعصوه، واستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين فاستغفروه][9].

★★★

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة. وقال بعد الدعاء للخليفة[10]: «اللّهم وأدم سلطان عبدِكَ الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك،

---

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف (ط): معاشر.

(٢) آل عمران آية ١٦٠.

(٣) في الاتحاف (ط): إنّه.

(٤) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧)، و(ط): تمزق.

(٥) في عيون الروضتين: تحد، وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٧٦): تجلى. وفي (ط): تحلى.

(٦) سقطت من الاتحاف (ط).

(٧) ورد في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧)، والاتحاف (ط) بعد (العلام): ثم استعاذ، وبسمل، وقرأ أول سورة الحشر. ثم دعا للخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله تعالى، وللسلطان بدعوات صريحة. وختم بقوله تعالى: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. ونزل، وصلّى في المحراب. وافتتح باسم الله بقراءة أم الكتاب...

(٨) الأعراف آية رقم ٢٠٤.

(٩) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧). والاتحاف (ط)

(١٠) ورد في وفيات الاعيان: ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة، ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر. ثم قال

وورد في شفاء القلوب: الخطبة الثانية: ذكر الحمد والشكر كما جرت العادة. ثم دعا للخليفة الناصر، ثم قال:

المعترفِ بموهبتك[1]، سيفك القاطع، وشهابك[2] اللامع، والمحامي[3] عن دينك[4] المدافع[5]، والذاب[6] عن حرمك، [وحرم رسولك][7] الممانع، السيد الأجل [والكهف الأظل][8] الملك الناصر،[9] جامع كلمة الايمان، وقامع عبدة الصلبان[10] صلاح الدنيا والدين[11] سلطان الإسلام والمسلمين[12]، مطهر البيت[13] المقدس من أيدي المشركين مع[14] أبي المظفر صلاح الدين يوسف بن ايوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

اللهم عمّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك المُقرّبين[15] براياته محيطة، وأحسن عن الدّين الحنيفيّ جزاءه، واشكر عن المِلة المُحمديه عَزْمَةُ ومضاءه[16]. اللهم أبق[17] للإسلام[18] [والمسلمين][19] مهجته، ووقِ للايمان[20] حوزته، وانشر في المغارب والمشارق[21] دعوته.

---

(١) سقطت العبارة من شفاء القلوب.

(٢) في الاتحاف (ط): وسهمك.

(٣) في شفاء القلوب والاتحاف (ط): المحامي.

(٤) في الاتحاف (ط): ذنبك. وهو تصحيف.

(٥) في الاتحاف (ط): الدافع.

(٦) في الاتحاف (ط): الذاب.

(٧) من مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٨) من شفاء القلوب.

(٩) سقطت اللفظتان من الاتحاف (ط).

(١٠) ورد بعد لفظة الصلبان: والأوثان، في شفاء القلوب.

(١١) في الاتحاف (ط): الدين والدنيا.

(١٢) سقطت لفظة «المسلمين» من الاتحاف (ط).

(١٣) في الاتحاف (ط). : بيت.

(١٤) من شفاء القلوب، والاتحاف (ط).
في عيون الروضتين: من أيدي الكافرين.

(١٥) من شفاء القلوب.

(١٦) في الاتحاف (ط)، حزبه وقضاه.

(١٧) في الاتحاف (ط): زين.

(١٨) من شفاء القلوب.

(١٩) في الاتحاف (ط): ووف.

(٢٠) في عيون الروضتين: للأنام.

(٢١) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): المشارق والمغارب.

اللهم فكما[1] فتحت على يده[2] البيت[3] المقدس، بعد أن ظنت[4] الظنون، وابتلي المؤمنون، فافتح على يده[5] أداني الأرض وأقاصيها[6]، ومَلِّكْهُ[7] صياصي الكفرة[8] ونواصيها[9]، فلا تلقاه منه[10] كتيبة[11] إلاّ مزّقها[12]، ولا جماعة[13] إلا فرّقها[14] ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحَقَها[15] بمن سبقها.

اللّهم اشكر[16] عن محمد، صلى الله عليه وسلم، سعيه[17]، وأنفذ في المشارقِ والمغارب [أمره ونهيه][18]، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها، [وأرجاء الممالك وأكنافها][19].

---

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان: كما. في شفاء القلوب: وكما.

(٢) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، ومفرج الكروب، والاتحاف: يديه

في شفاء القلوب: وردت العبارة هكذا: فتحت به.

(٣) في الاتحاف (ط): بيت

(٤) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: ورد بعد «ظنت»: به.

(٥) في عيون الروضتين، و وفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف: يديه.

(٦) في وفيات الاعيان ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف، داني الارض وقاصيها.

(٧) في شفاء القلوب: زاد «بفضلك وكرمك» بعد: «وملكه».

(٨) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف: الكفر.

(٩) وردت العبارة في الاتحاف (ط) هكذا: وملك صلبان الكفرة ونواقيسها.

وردت العبارة في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٧٦): وملكه سياصي الكفرة ونواصيها.

(١٠) في شفاء القلوب: يلقى (بدلا من: تلقاه منهم).

في الاتحاف (ط): تلقى

(١١) في الاتحاف (ط): كنيسة، وهو تصحيف.

(١٢) في الاتحاف (ط): مزقتها.

(١٣) في الاتحاف (ط): جامكة. وهاذ تصحيف. وهي في مخطوطة الاتحاف «جماعة».

ورد في شفاء القلوب بعد «جماعة»: بعزتك.

(١٤) في الاتحاف (ط): فرئتها. وهو تصحيف. وهي في مخطوطة الاتحاف: فرقها.

(١٥) في الاتحاف (ط): ألحقتها، وهي في مخطوطة الاتحاف: ألحقها.

(١٦) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «اشكر»: له.

وورد في الاتحاف (ط) بعد لفظة «اشكر»: عن سيدنا.

(١٧) ورد في الاتحاد (ط) بعد «سعيه»: ذا القدر والقد.

(١٨) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(١٩) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

اللّهم [ذلّـل به معـاطسَ[1] الكُفّار، وأرغم به أُنوفَ[2]]الفُجّار، وانْشُر ذوائب[3] مُلكه[4] على الأمصار، [وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار][5].

اللهم ثبِّت الملكَ فيه وفي عقبه[6] إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أيوب[7] الملوك[8] الميامين، واشددْ عَضُدَه ببقائهم[9]، واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم.

اللهم كما[10] أجْرَيْتَ على يده[11] في الإسلام[12] هذه الحسنةَ التي تبقى على الأيام، وتتخلّد على مَرّ[13] الشهور والأعوام، فارزقه[14] الملكَ الأبدي الذي لا ينفدُ في دار المتقين[15]. وأجبْ[16] دعاءه في قوله: «رب أوزعْني أنْ أشكرَ نعْمتكَ التي أنعَمْتَ عليّ، وعلى والديّ، وأنْ أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتكَ في عبادِك الصالحين»[17][18].

---

(١) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «معاطس»: آناف.

(٢) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(٣) في الاتحاف (ط): دوابر.

(٤) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «ملكة»: برحمتك.

(٥) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(٦) في الاتحاف (ط): عقبته. وهـو تصحيف.

(٧) في وفيات الاعيان، وشفاء القلوب: أبيه.

(٨) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «الملوك»: الكرام.

(٩) في الاتحاف (ط): سقطت ألفاظ عديدة. وورد فيه: «اللهم ثبت فيه وفي عقبته.. اليأس، وشدّ عضده...

(١٠) في مفرج الكروب: فكما. في شفاء القلوب: وكما.

(١١) في شفاء القلوب: يديه.

(١٢) في شفاء القلوب: بمعونتك، بدلا من «في الاسلام».

(١٣) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: مرور.

(١٤) في شفاء القلوب: وارزقه.

(١٥) في وفيات الاعيان: اليقين.

(١٦) ورد في مفرج الكروب، بعد لفظة «وأجب»: دعوته و(دعاءه).

(١٧) النمل آية ١٩.

(١٨) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى ـ ابو عبدالله محمد بن احمد ابن علي ابن عبدالخالق المنهاجي السيوطي (نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية ـ رقم (٧٦).

٢ ـ إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى ـ المنسوب الى محيي الدين بن عبدالظاهر، عبدالله بن عبدالظاهر الجُذامي المصري ـ نسخة مصورة بمركزالوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية ـ رقم ٤٠)

٣ ـ إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى ـ المنسوب إلى أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ـ نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ـ رقم ٥٩٧).

٤ ـ إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي السيوطي ـ تحقيق د. أحمد رمضان أحمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٢.

٥ ـ أحكام صنعة الكلام ـ أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي ـ تحقيق د. محمد رضوان الداية ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٦.

٦ ـ أدب الحروب الصليبية ـ د. عبد اللطيف حمزة ـ دار الفكر العربي ـ ط ٢ ـ ١٩٨٤.

٧ ـ الأدب في العصر الأيوبي ـ د. محمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨.

٨ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ـ عني بنشره وتحقيقه د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م.

٩ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ـ عمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة.

١٠ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ مجير الدين العليمي، عبد الرحمن ابن محمد عبد الرحمن بن محمد العليمي، المقدسي، الحنبلي ـ مكتبة

المحتسب ـ عمان ـ ١٩٧٣ .
١١ ـ إنشاءات القاضي الفاضل ـ دراسة وتحقيق وتعليق د. فتحية النبراوي ـ دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ـ ط ١ ـ ١٩٨٠ .
١٢ ـ البداية والنهاية ـ أبوالفداء الحافظ ابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .
١٣ ـ البرق الشامي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق د. رمضان ششن . استانبول ـ ١٩٨٩ .
١٤ ـ البرق الشامي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق د. فالح صالح حسين ـ ط ١ ـ عمان ـ ١٩٨٧ .
١٥ ـ البرهان في وجوه البيان ـ أبو الحسين إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب ـ تقديم وتحقيق د. حفني شرف ـ مكتبة الشباب ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .
١٦ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ـ تحقيق عبد السلام هرون ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ـ ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
١٧ ـ التاج المكلل من جواهر ما نشر الطراز الأخر والأول ـ القنوجي، أبو الطيب، صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ـ تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين ـ دار اقرأ ـ ط٢ ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م .
١٨ ـ تاريخ ابن الفرات ـ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ـ نشر د. حسن محمد الشماع ـ البصرة .
١٩ ـ تاريخ الخلفاء ـ الحافظ جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت .
٢٠ ـ تاريخ دمشق ـ قسم تراجم النساء ـ الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله، المعروف بابن عساكر ـ تحقيق د. سكينة الشهابي ـ ط ١ ـ دمشق ـ ١٩٨٢ .
٢١ ـ تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر) ـ زين الدين عمر بن الوردي ـ تحقيق أحمد رفعت البدراوي ـ دار المعرفة ـ بيروت .
٢٢ ـ التاريخ المنصوري ـ تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ـ أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي ـ تحقيق د. أبوالعيد دودو ـ مراجعة د. عدنان درويش ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ

١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٢٣ ـ التكملة لوفيات النقلة ـ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ـ حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ـ النجف الاشرف.
٢٤ ـ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ـ د. احمد بدوي. ط٢ ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٧٧.
٢٥ ـ الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ـ محمد سيد كيلاني ـ مكتبة مصر ـ ١٩٤٩.
٢٦ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الأصفهاني ـ قسم شعراء الشام تحقيق د. شكري فيصل ـ المطبعة الهاشمية بدمشق.
٢٧ ـ خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.
٢٨ ـ خطفة البارق وعطفة الشارق ـ العماد الأصفهاني (ضمن كتاب الروضتين) ـ دار الجليل ـ بيروت.
٢٩ ـ الدارس في تاريخ المدارس ـ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ـ تحقيق جعفر الحسني ـ مطبعة الترقي بدمشق.
٣٠ ـ ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق د. محمد عبد الحق ـ دار الجليل ـ بيروت ـ ١٩٧٥.
٣١ ـ ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق د. محمد نصر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٩.
٣٢ ـ ديوان أبي تمام ـ تحقيق د. محمد عبده عزام ـ ط ٣ ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩.
٣٣ ـ ديوان خطب ابن نباتة الفارقي.
٣٤ ـ ديوان فتيان الشاغوري ـ تحقيق أحمد الجندي ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ ١٣٧٨ هـ / ١٩٧٦م.
٣٥ ـ الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة) ـ أبو شامة المقدسي ـ نشره عزت العطار الحسيني ـ دار الجيل ـ ط ٢ ـ بيروت ـ ١٩٧٤.
٣٦ ـ رسائل عن الحرب والسلام ـ من ترسل القاضي الفاضل ـ اختيار موفق الدين بن الديباجي ـ تحقيق د. محمد نغش ـ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

٣٧ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ـ أبو شامة المقدسي ـ دار الجيل ـ بيروت .
٣٨ ـ زبدة الحلب من تاريخ الحلب ـ كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم ـ عني بنشره وتحقيقة د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي بدمشق .
٣٩ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ صححه محمد مصطفى زيادة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ .
٤٠ ـ سنا البرق الشامي ـ الفتح بن علي البنداري ـ تحقيق د. رمضان ششن ـ دار الكتاب الجديد ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ـ ١٩٧١ .
٤١ ـ سنا البرق الشامي ـ الفتح بن علي البنداري ـ تحقيق د. فتحية النبراوي ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ١٩٧٩ .
٤٢ ـ سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق د. بشار عواد معروف، و د. محيي الدين هلال السرحان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م. ج٢١ .
٤٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ أبو الفلاح عبد الحي، ابن العماد الحنبلي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
٤٤ ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ـ أحمد بن إبراهيم الحنبلي (٨٧٦ هـ) ـ تحقيق د. ناظم رشيد ـ وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية ـ ١٩٧٨ .
٤٥ ـ العبر في خبر من عبر ـ شمس الدين الذهبي ـ حققه أبو طاهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .
٤٦ ـ عصر الدول والامارات ـ مصر والشام ـ د. شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٨٤ .
٤٧ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ـ الامام محمد بن أحمد العيني ـ مخطوط متحف الأوقاف الاسلامي ـ استانبول ـ (رقم ٣٢٢٨) .
٤٨ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن

خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ـ شرح وتحقيق د. نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥.
٤٩ ـ عيون التواريخ ـ محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق د. فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم داود ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية.
٥٠ ـ غوطة دمشق ـ محمد كرد علي ـ دار الفكر ـ ط ٣ ـ دمشق ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.
٥١ ـ الفيح القسي في الفتح القدسي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق محمد محمود صبح ـ الدار القومية للطباعة الونشر.
٥٢ ـ قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام) ـ شمس الدين ابن طولون ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ المجمع العلمي العربي ـ دمشق ـ ١٩٥٦.
٥٣ ـ الكامل في التاريخ ـ عز الدين بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ـ دار صادر دار بيروت ـ بيروت.
٥٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد ـ بيروت.
٥٥ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الأثير ـ تحقيق د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة ـ مكتبة نهضة مصر ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة.
٥٦ ـ المختصر في أخبار بني البشر ـ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن نور الدين علي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
٥٧ ـ المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي (دورها في الحركة الفكرية) ـ د. عبد الجليل عبد المهدي ـ مكتبة الأقصى ـ عمان ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.
٥٨ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت. ط٢ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٥٩ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف ابن قز أوغلي بن عبد الله ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م. (ج ٨).

٦٠ ـ مرآة الزمان ـ سبط بن الجوزي ـ ١٤ ـ خ).
٦١ ـ مضمار الحقائق وسر الخلائق ـ محمد بن عمر بن شاهنشاه الايوبي ـ تحقيق د. حسن حبشي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨.
٦٢ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.
٦٣ ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ـ ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم ـ نشر د. جمال الدين الشيال ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ـ ١٩٥٧. (ج٢).
٦٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي ـ مصورة طبعة دار الكتب المصرية.
٦٥ ـ نزهة الناظر وبهجة الخاطر ـ شرف الدين موسى بن يوسف بن أحمد الأيوبي الأنصاري الدمشقي ـ دمشق ـ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م (رسالة ماجستير).
٦٦ ـ نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية ـ د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـ دار المنارة ـ جدة السعودية ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
٦٧ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة. (ج٨).